الفصل السادس عشر

معجزة القيادة النبوية

المبحث الأول- شخصية الرسول القيادية وأبعاد النبوة فيها

المطلب الأول : القادة يصنعون.. أكثر مما يولدون:

مر معنا الحديث عن هذا الموضوع ولكني أخص في هذا العنوان الحديث بشكل خاص عن تفرد النبي محمد ﷺ بمواهب ربانية أودعها الله عز وجل في نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام تتجاوز كثيرا المؤهلات الأخرى والتي ورثها أو اكتسبها هو أيضاً.

يقول مونتغمري: "إن القادة يصنعون أكثر مما يولدون"(١). ويقول أيضاً: "إن القادة العسكريين العظام في التاريخ كانوا قلائل على العموم، وكان يقتضي نشوب حرب لظهور هؤلاء، وقد برهن بعضهم على عظمة بعد تدريب قليل جدا، وكان من ظواهر التاريخ العجيبة على مر العصور أن الحوادث هي التي خلقت الرجال.. لم يكن للعمر غير تأثير قليل، فقد جاءت الفرصة مبكرة لفريق منهم ومتأخرة للآخرين(٢).

إذن فالقيادة تتطلب صفات فطرية ومواهب موروثة، والأحداث المثيرة هي التي تصنع تلك الصفات وتترجمها وتشحذ هاتيك المواهب وتحفزها، أي أن وقوع حرب ما كان كفيلاً بإيقاظ مواهب القائد ودفق لأداء دوره القيادي.. ولكن حالة محمد ﷺ تميزت عن أحوال القادة، فمما لاشك فيه أن محمدا كان -في نظر مونتغمري أيضاً- قائداً عظيماً بل كان أعظم قائد عرفه التاريخ بمفهوم القيادة الشامل والأخلاقي، وأنه كان يملك مواهب قيادية حقيقية موروثة لولاها لما استحق مقام القيادة ولما نجح فيها،

---

(١) السبيل إلى القيادة (المارشال مونتغمري)، ترجمة العميد حسن مصطفى، دار الطليعة- بيروت ص ١٣-٣١.

(٢) نفس المصدر.

لكننا نلاحظ أن الحوادث العرضية الضاغطة لم تصنعه وتضعه في مقامه المحمود، إنما وضعه الله تعالى بتوقيت شاءه وأبرزه إبرازاً خصوصياً فحين وقعت حرب (الفجار) بين قبيلة قريش التي ينتمي إليها النبي ﷺ، ويفخر بها، ويغار على مقدساتها، وبين قبيلة عربية أخرى مغيرة عليها، لم يشارك الرسول فيها إلا جنديا، فلماذا لم تظهر مواهبه القيادية العسكرية التي لاشك في توفرها فيه، مع أن عمره كان عشرين سنة، حيث فتوة الشباب وحماسها اللاهب، وقد برز من الجانب القرشي قادة صغار وتشكلت للدفاع قيادة عامة، وكان بإمكانه أن يرضي نزوعه القيادي من خلالها؟.. ولماذا لم تظهر قيادته عليه السلام بعد احتكاك المعارضة به وبأصحابه في مكة وقيامها بالأعمال الاستفزازية والعدوانية ضدهم، إنما ظهرت في سن متأخرة جدا، أي عندما كان عمره (٥٣) سنة، وكأروع وأنجح وأقوى ما تكون القيادات، وبدون أي تدريب سابق بعد نزول الأمر القرآني عليه برد العدوان؟.. إنه التوقيت الرباني الصارم الذي حدد له ساعة القيادة الفعلية، وإنها الإرادة الربانية التي كفته عن ممارسة أي عمل عسكري أو قيادة تشكيلات سياسية أو حربية، أو إثارة مبارزات عمل عسكري، أو المنافسة على أمور زعامية أو قيادية، مع أن المواهب العظيمة تتفجر منذ الصغر ثم تصقل وتنمى بتجارب الشباب،

ثم يبحث صاحبها بإلحاح عن المجالات التي يبرزها فيها إن لم نقل يصنعها وينميها، بالاحتكاك المستمر، والإثارة الدائمة للعناصر البشرية التي يتعامل معها في حياته، ليحقق بها أو على حسابها طموحاته ومواهبه العسكرية أو السياسية.. فنابليون -على سبيل المثال- الذي أصبح أعظم قائد عسكري، هل قهر شمالي إيطاليا سنة ١٧٩٦م وعمره (٢٧) سنة دون تدريب سابق؟ لا.. لقد اندفع منذ شبابه إلى الكلية الحربية وتخرج منها ضابطا في المدفعية، ثم استفاد من النظريات العسكرية المعاصرة له وطبقها، بعدها شارك في الثورة الفرنسية، ثم ترفع إلى رتبة لواء سنة ١٧٩٤ م وعمره (٢٥) سنة، وفي سنة ١٧٩٥م أخضع جماعة من الغوغاء الثائرين في باريس.. وأخيرا عهدت إليه قيادة الجيش الفرنسي في إيطاليا.. وكذلك فعل هتلر، وديغول، وتيتو، وستالين، وتشرشل، ومونتغمري، وغيرهم بل حتى جنكيزخان، قد تعلم مهنة الحرب واكتسب مهارته العظيمة فيها من

مشاركته في الحروب القبلية التي قضى فيها (٤٠) سنة من عمره، ومن سن (١٣) إلى (٥٣) سنة، و لم يكن اجتياحه العسكري للعالم المعمور عملاً عفوياً أولياً فجائياً.

المطلب الثاني: وحشية القادة.. ورحمة القيادة النبوية:

إن القادة لم ينفكوا عن الوحشية وإشاعة الدمار في البلاد التي يفتحونها أو يخضعونها أو (يحضرونها!)، فجنكيزخان مثلاً أهلك (١٨) مليوناً في الصين وحدها، ثم يصفه قائد عسكري يتحلى بفضائل الفرنجة ويتبجح بها: "يمكن القول إن وحشيته كانت منطقية، فقد كانت تستهدف إضعاف إرادة العدو على القتال وإثارة الحماس في أفراد قبائله القساة الوحشيين في الوقت نفسه.. إنني أضع هذا القائد المغولي جنكيز خان في الصف الأمامي للجنود العظام، وأعده قائدا عسكريا في أعلى طراز[١].

والفضائل لا مكان لها في قاموس القيادة الأرضية، يقول تشرشل: "في الوقت الذي تلتهب فيه الحرب الكونية حولنا جميعا، كان من العبث أن يتحدث الإنسان عن الأخلاق ويجهر بحديثه"[٢].

وهو الذي قال في معرض الدفاع عن استعمال القنبلة الذرية التي قتلت أكثر من (١٣) ألف في هيروشيما و(٧٣٨٨٤) إنسان في ناغازاكي: "بدا لنا أن تجنب مذبحة هائلة لا حدود لها، وأن الوصول بالحرب إلى النهاية، وبالعالم إلى السلام! وأن مد يد الشفاء إلى شعوبه المعذبة عن طريق عرض لقوة طاغية كل هذا لا يمكن إلا ببعض انفجارات كلها أمور جاءت بعد هذه الأخطار والمتاعب كمعجزة من معجزات الإنقاذ[٣]!

فإذا كان قتل الآلاف من المدنيين الأبرياء بالجملة معجزة، فما أتفهها من معجزة بل وما أرهبها! أما معاملة المنتصرين من القادة للأسرى، فاقرأ عنها هذا الأنموذج من معاملة الألمان لأسرى الحرب: "كانوا يموتون بمئات الآلاف موتا بطيئا بسبب الجوع والأمراض، وقد اقترح المارشال كيتال أن يوسم الأسرى بالحديد المحمي، كما أوصى

---

(١) المصدر السابق ص ٣٨.

(٢) مذكرات تشرشل (ترجمة خيري حداد) مكتبة المثنى- بغداد، ط ٢ سنة ١٩٦٢ م- ج٢ ص٧١٦.

(٣) نفس المصدر ج٢ ص١٠٨٢.

المارشال فون مانستين بعدم تقديم أي نوع من الطعام إلى الأسرى لأن هذا التصرف في رأيه شعور إنساني منحط[1].

أما قادة الدول المقهورة في الحرب في رأي تشرشل المتحضر: "يبدو أن المبادئ الأخلاقية للحضارة الحديثة تقضي بأن يعدم المنتصرون قادة الدول المقهورة في الحرب[2]".

فماذا كان موقف النبي القائد ﷺ في ملابسات الحرب وآثارها؟

لقد كان النبي ﷺ أبعد الناس عن إرادة سفك دماء الأبرياء، وأقربهم إلى اللين والعفو والرحمة، حتى في أشد حالات الغضب وأوج الانتصارات العسكرية.. وكشاهد على ما نقول: (هو أن عدد المقتولين في الفريقين المتقاتلين (المسلم والكافر)، في جميع الغزوات والسرايا والمناوشات التي ابتدأت من السنة الثانية للهجرة ودامت إلى السنة التاسعة (١٠١٨م) ألف وثماني عشرة نفسا فقط[3]".

أما موقفه من الأسرى، فحين جاء النبي كان استرقاق البشر الذين يؤسرون في المعارك أمراً طبيعياً في العالم كله، حتى صار الرق أساساً من أسس بناء المجتمعات النفسي والاجتماعي والاقتصادي بل الحضاري، ولم يفكر أحد يوما في إزالة هذا الحيف عن أسرى الحرب، بل حتى أولئك الأسرى كانوا يستسيغون أر يتقبلون ما ينـــزل بهم من ألوان الإهانة والإذلال، ولا يفكرون في إزالتها إلا قليلاً، لقد كانت الأعراف الدولية في حينه تبيح التصرف في حياتهم وفق أهواء المنتصرين، تبنى بهم الأهرامات، أو يقتلون كالعقارب والحيات، أو يلقون طعاما للأسود والحيوانات المفترسة، ليتمتع القادة والعظام برؤية معاناتهم لآلامهم ووخز جراحاتهم، أو يحرقون أحياء.. فأتى النبي ﷺ بقانون العتق

---

(١) الحرب العالمية الثانية، رمضان لاوند، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥ سنة ١٩٧٧م ص١٥١- ١٥٢.

(٢) مذكرات تشرشل ج٢ ص١٠٨١.

(٣) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين (النـــدوي)، دار الكتـــاب العـــربي، ط ظ ســـنة ١٩٧٧م ص٢٠٤-٢٠٥. انظر نور اليقين للخضري.

نور اليقين للخضري، المطبعة الأزهرية بمصر، ط ٢٣ سنة ١٩٦٧ م ص ٢٢٢.

السبيل إلى القيادة - مرجع سابق - ص ١٢٠.

ليصفي هذا الوضع الاجتماعي المنفر على مراحل تدريجية، وبتشريعات مفصلة، وتوجيه دائم، ولما كان العالم آنذاك لا يستجيب لقراراته وقوانينه، ولا يعامله بالمثل في حروبه المشروعة والعادلة والهادفة لإزالة قواعد الطغيان، فإنه اضطر إلى السير وفق ذلك المفهوم العالمي للأسر والأسارى، أي في عدم إطلاق سراحهم وبدون مقابل، ولكنه أصدر تعليمات تقدمية سابقة للزمن في معاملة الأسرى، فاعتبرهم أولا إخوة للجنود المنتصرين من المسلمين في الإنسانية.

أما قادة الجيش المقهور فماذا فعل النبي القائد بهم؟ لقد دخل مكة ظافراً ورأى زعماء قريش الذين أوقفوا حياتهم على محاربته، فماذا صنع بهم؟.. ألقى القبض عليهم؟، أعدمهم؟ أحرقهم؟، أهان كرامتهم؟، حاكمهم كمجرمي حرب؟، لا، إن أبا سفيان كان أكبر رؤوس المعارضة وأعلى المراتب العسكرية المعادية له، فماذا صنع به، لقد قال فيه: "من دخل دار أبي سفيان فهو آمن"[1]، الدار التي كانت المقر الحربي لقادة الحرب في مكة صارت دار الكرامة والعفو، من دخلها كان آمنا على نفسه وماله مهما ارتكب من جرائم حرب.

المطلب الثالث: التهور من شيم القادة ورباطة الجأش وسعة صدر النبي ﷺ وجميل صبره:

يغلب على القادة طابع الانفعال السريع، والتهور الشديد، وقد يكون بعض ذلك طبيعيا ومفيدا بحكم ظروف المعارك التي تقتضي اتخاذ القرارات العاجلة وتنفيذها وفرضها على المقاتلين، ولمكافحة عوامل السلبية والانهزام والتردد في بعض النفوس الهشة، والعقليات المتحسبة أكثر من اللازم لمخاطر العمليات القتالية، أو القلوب الماردة العنيدة السريعة العصيان في صنوف الجيش.. ويندر أن تجد قائداً يتحلى بمطلق ضبط النفس في جميع المواقف الحرجة والأليمة والمثيرة، فمثلاً "كان ديغول خلال الحرب سريع الغضب والانفعال في الغالب، وكذلك كان أناس كثيرون غيره" أي: من القادة، وكان تشرشل: "قليل الصبر، وقد يكون عديم التحمل، وشكوكاً أيضاً"[2] وكان (ألان بروك) قائد الجيش البريطاني في الحرب الهتلرية: "سريع الغضب، وعندما يثور حقاً ويهاجمك فإنه

(١) نور اليقين للخضري- المطبعة الأزهرية بمصر - ط ٢٣- ١٩٦٧م - ص٢٠٢.

(٢) السبيل إلى القيادة - مرجع سابق - ص١٤٢.

يحمل عليك حملة شعواء تترك أثرها فيك"[1]، فما بالك بغير هؤلاء من القادة التاريخيين الذين كانوا يجوسون خلال الديار أو المعاصرين وصنائعهم وطبائعهم مشهورة.

أما النبي القائد ﷺ فرغم جهاده النفسي في تربية المؤمنين، ومعاناته في تلقي الوحي من رب العالمين، وصبره على استفزاز المعارضين في مكة طيلة ثلاث عشرة سنة، ورغم قيادته المباشرة وغير المباشرة لمجموعة ضخمة من المعارك والسرايا، ومتاعبه المستمرة في تنظيم هيكل الدولة الإسلامية وبنائها الداخلي في المدينة، رغم ذلك ودون أن يحصل خلال تلك المدة الطويلة على إجازة خاصة، أو يتمتع أثناءها بجولة سياحية، أو نزهة استجمامية، أو سفرة خارجية، فقد بقي محافظا على رباطة جأشه، وسعة صدره، وجميل صبره في معاملة أمناء سره، ووزراء حربه، ومستشاري سلمه، ومرؤوسيه الصغار وجنوده، بل حتى مع العناصر التي لم تتمتع بحسن النية ونظافة المقصد من أتباعه، مع أنه كان متمكناً منهم، قادراً على إنزال الأذى بهم، وصفه أبو هالة بقوله: "وسع الناس بسطه وخلقه، فصار لهم أباً، وصاروا عنده في الحق سواء"[2]، ووصفه بطل الحرب علي رضي الله عنه بأنه كان: "أوسع الناس صدراً[3] يأتيه جندي بسيط بعد انتهاء إحدى المعارك فيقول له بلهجة آمرة قاسية"اعدل" فلا يزيد القائد العام على قوله: «ويلك.. ومن يعدل إن لم أعدل، لقد خبت وخسرت، إذا لم أعدل فمن يعدل؟[4]»، وكأنه يعتذر لصديق له حميم، ولمزيد من الاطلاع على حلمه انظر شهادات القريبين منه في كتب السيرة والحديث، فلو استطردنا في ذكر الأمثلة لطال بنا المقام، وحسبنا الوصف القرآني له: ﴿**وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ**﴾ [آل عمران: ١٥٩] فعلامة حلمه الكامل أن لم يحدث تمرد عليه من أحد قواده، ولم ينقم عليه أحد من مساعديه الأقربين، ولم ينتقده أحد وزرائه، لا في حياته ولا بعد مماته، ولم يختلف المسلمون في كمال أخلاقه وعدم انتصاره لنفسه حتى أمام أقل الرتب في أفراد جنده، مع كثرة المواضيع التي اختلفوا فيها بعده.

---

(١) نفس المصدر ص ١٤٢.

(٢) نور اليقين ص ٢٨٩.

(٣) نور اليقين ص ٢٨٩.

(٤) حياة الصحابة، الكاندهلوي، دار النصر بالقاهرة سنة ١٩٦٩ م ج ٢ ص٦٠١.

نعم.. لقد كان عليه الصلاة والسلام دائماً وفي جميع المواقف: "أكثر الناس تبسماً، وأطيبهم نفساً، ما لم يترل عليه القرآن، أو يعظ، أو يخطب"[1]، كما كان إذا لم يعجبه تصرف فردي أو فئوي يصعد على منبر الخطابة ليقول مثل هذه العبارة: «ما بال أقوام يصنعون كذا، أو يقولون: كذا[2]"، ولا يلجأ إلى التعنيف والتهديد بالعقوبات الانضباطية، ومواقفه الكريمة من المنافقين حتى بعد انكشاف أمرهم، وظهور مخططات مكرهم، وأثرهم السلبي في معنويات المقاتلين في الأجواء الجهادية، ومحاولاتهم الآثمة لتخريب البنية الروحية للمؤمنين وتمزيق البناء العضوي المتلاحم لمجتمعهم مشهورة كانت.. تلك المواقف الكريمة له عليه السلام من هذا الطابور الخطر عفواً وصفحاً، بل وحتى استغفاراً لزعيمهم بعد موته إضافة إلى إحسانه إليه ما دام بين اظهر المؤمنين، ومن المحسوبين على معسكرهم!!

وبعد؟ فلا يسعنا هنا إلا أن نقول: إنها النبوة، وإن بعض المقارنات التي أتينا على ذكرها ليست إلا من قبيل إظهار صورة القيادة المتميزة للنبي الكريم ﷺ وصحبه الكرام، إذا ما قورنت بأعظم قادة الأرض في القديم والحديث ليقبس منها القادة والزعماء ويقتدون بها[3].

(١) نور اليقين ص ٢٩٠.

(٢) نور اليقين ص ٢٨٨ نفس المصدر.

(٣) للمزيد انظر الموقع www.azzampolitic. ٤t. com/qiada. htm

المبحث الثاني- دراسة تحليلية مختصرة لشخصية الرسول ﷺ القيادية[1]

يجد الناظر في شخصية الرسول ﷺ جانبين لهذه الشخصية هما:

➢ **الأول**: الجانب النبوي بوصفه ﷺ رسولاً مبلغاً مسدداً بالوحي من الله تعالى، وليس هذا الجانب هو المقصودَ من هذه الدراسة.

➢ **الثاني**: الجانب البشري الإنساني، وهذا الجانب متشعب، ويهمني منه الجانب القيادي في شخصية الرسول ﷺ، ويتمثل هذا في النقاط التالية:

١ - الإرادة والهمة والعزيمة:

تعد هذه النقطة واضحة تماماً في سيرة النبي ﷺ، فقد كان ذا تصميم عجيب على إنفاذ ما يريد، لا يتردد في ذلك، ولا يضعف، كما في بعثه أسامة بن زيد لغزو الروم وهو في مرض موته، وكما ظهر هذا في تصميمه على الدعوة رغم الأذى، وفي تصميمه على حفر الخندق رغم العناء الكبير، ومن المعلوم أن الإرادة الصلبة والهمة العالية والعزيمة القوية هي الدوافع الرئيسة للعمل حتى تتحقق الأهداف التي يرنو المسلم إليها، فالقائد الذي لا يملك هذه الأمور لا ولن ينجح في حياته، ولن يحقق من أهدافه شيئاً.

٢ - الصبر وسعة الصدر والقدرة على التحمل:

قال الفاروق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لأبي عبيد سليط ابن قيس الأنصاري: "لولا أنك رجل عَجِل في الحرب لولّيتك هذا الجيش، والحرب لا يصلح لها إلا الرجل المكيث"[2] أي الصبور، كما أن الناظر في سيرة النبي ﷺ يطّلع على مدى ما تحمله هو وأصحابه من أذى المشركين، ويدرك مقدار حِلْمه ﷺ على قومه، فقد كان واسع الصدر يقابل جهلهم بالدعاء لهم بالهداية[3]؛ لأن قومه لا يعلمون،

---

(١) شخصية الرسول ﷺ القيادية: دراسة تحليلية مختصرة - الجامعة الإسلامية بغزة - يوسف محيي الدين فايز الأسطل - ٢٠١٠ -٢٠١٤م. http: // site. iugaza. edu. sp

(٢) المرجع السابق - تحليل لشخصية الرسول القيادية .

(٣) قوله ﷺ لأهل مكة عندما دخلها فاتحاً «ما تقولون وما تظنون أني فاعل بكم» قالوا: نقول ابن أخ وابن عم حليم رحيم، فقال أقول كما قال أخي يوسف لأخوته ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [سورة يوسف ٩٢] والحديث رواه البيهقي

وهذه النواحي من أسس العمل الناجح، ومن المواصفات الضرورية اللازمة للقائد الناجح، فمن فقدها لم ولن يحقق شيئاً مما يصبو إليه.

٣ - الشعور بالمسئولية والقدرة على تحملها:

ومن هذا الباب جاء قوله ﷺ: «كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته...» الحديث[١]، وهذا الشعور كان من الدوافع الحقيقية الهامة للنبي ﷺ ليتخذ لكل شيء في حياته خطوات علمية مدروسة مبرمجة، فراح يبحث عن مكان آمن يرسل إليه أصحابه؛ حفاظاً على الطاقات الإسلامية من الإهدار والضياع، ويظهر هذا جلياً واضحاً في سيرته ﷺ من أول يوم بعث فيه لما قال له ورقة بن نوفل: "ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك... ما جاء أحد بمثل ما جئت به إلا عودي"[٢] فجعل ﷺ يوطّن نفسه ويعدّ أصحابه لذلك.

٤ - الرؤية الإستراتيجية البعيدة:

لقد كان إخبار ورقة له ﷺ بأن قومه سيخرجونه وسيعادونه باعثاً له على التخطيط المحكم والإعداد الكافي، فظهرت عبقرية النبي ﷺ في التخطيط الواضح غير المكتوب في حياته لكل أمر ذي بال، والمقصود من إبراز التخطيط النبوي ذكر بعض معالمه، وليس استيعاب مظاهره، ومن مظاهر هذا التخطيط:

تقسيم الدعوة الإسلامية إلى مرحلتين؛ الأولى منهما هي مرحلة الدعوة السرية والتنظيم السري مدة ثلاث سنين[٣]، يدعو ويربي ويعلم القرآن الكريم وتوجيهاته بعيداً عن أعين المشركين؛ لأنه يعلم أنهم لن يسلموا له بما يريد، والثانية كانت مرحلة الجهر بالدعوة والإعلان عنها مع الإبقاء على سيرة التنظيم؛ لتفادي الضربات المفاجئة، والمباغتة العدوانية.

---

(١) متفق عليه - انظر صحيح مسلم كتاب الإمارة - باب فضيلة الإمام العادل.

(٢) صحيح البخاري- في كتاب التفسير وتبصر الرؤيا (٢٠٧/٤٩٥٣) وانظر نور اليقين في سيرة سيد المرسلين للشيخ محمد الخضري بك- ص٣١- ٣٢. وانظر أيضاً صحيح البخاري باب التبصر باب الرؤيا ٦٥٨١.

(٣) المرجع السابق - نور اليقين ص٣٣- ثم انظر نفس المرجع ص ٥٩ إسلام عمر ﷺ.

جمع المعلومات عمن يريد أن يدعوهم إلى الإسلام، بمعنى: (الخضوع لتقويم أمني كامل)؛ لتفادي الاختراق لصفوف المسلمين من الداخل.

البحث المتواصل عن أماكن آمنة للدعوة الإسلامية ولأتباعها كما في عرض نفسه على القبائل بقوله: "من يؤويني، من ينصرني، ألا رجل يحملني إلى قومه حتى أبلغ رسالة ربي؛ فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي"[1] وكما في سؤاله لبعض الحجيج: "هل عند قومك من منعة؟"، وكإرسال الصحابة الكرام إلى الحبشة في هجرتين متتاليتين، ثم في الهجرة إلى الطائف، ثم إلى المدينة، وكأمره لبعض الصحابة المسلمين أن يرجعوا إلى أقوامهم وأن لا يبقوا في مكة، فلا يحسن تكديس الأتباع حيث توجد المحنة[2].

السبق إلى أرض المعركة، وتفقد الأماكن؛ لاختيار المناسب منها ليرابط الجنود فيه، وترك ما لا يناسب للعدو؛ ليضمن النبي ﷺ السيطرة على الأرض؛ تعويضاً لقلة الإمكانات، وظهر هذا واضحاً في غزوتي بدرٍ وأُحُدٍ.

القدرة على إرباك العدو وإفشاله قي خططه، بواسطة المفاجآت العدوانية كأسلوب الصف، وأوامر استخدام السلاح في بدر، وحفر الخندق في الأحزاب[3].

القدرة على إشغال العدو بنفسه، وتفسيخ صفوفه، كما فعل نعيم بن مسعود يوم الأحزاب، وكإرسال حذيفة بن اليمان لاستطلاع أخبار القوم في الغزوة نفسها؛ مما جعل أبا سفيان ينادي في الناس أن يتعرف كل واحد إلى من حوله، فأحدث هذا خلخلة في الصف الوثني. ملاحقة العدوّ لإرعابه، وإدخال الخوف في قلبه؛ ليفر من الميدان، كما في غزوة حمراء الأسد، وكما في السرايا والبعوث الكثيرة؛ لتأديب القبائل في منازلها، فلم يكد يمرّ شهر في الفترة المدنية إلا ويرسل ﷺ سرية، أو يغزو غزوة؛ لتأمين المسلمين في

---

(١) حديث رقم ٢٥٠٦ من كتاب السنن الكبير للبي.

(٢) نور اليقين ص٥٨ و٦٢.

(٣) شخصية الرسول ﷺ القيادية: دراسة تحليلية مختصرة- الجامعة الاسلامية بغزة- http://site.iugaza.edu.sp يوسف محيي الدين فايز الأسطل- ٢٠١٠-٢٠١٤م.- انظر نور اليقين ص١٥٤.

المدينة من خلال النشاط العسكري المتواصل[1].

اختيار الزمان المناسب، والمكان المناسب، والأشخاص ذوي القدرات العالية على تنفيذ المهام، كما في بيعة العقبة الثانية، ثم في الهجرة.

٥ - التروي والتأني والحكمة في اتخاذ القرارات سيما المصيرية:

"ضبط الأعصاب": قال الأنصار لما انتهوا من عقد بيعة العقبة الثانية: "يا رسول الله، إن شئت لنميلنّ[2] على أهل منىً غداً بأسيافنا" فقال ﷺ: "لم نؤمر بذلك، ولكن ارجعوا إلى رحالكم..."؛ لأن الخطوة الاندفاعية المتسرعة النابعة من العواطف لا ترجع آثارها على القائد الذي أعطى الأمر فحسب، ولكن آثارها السلبية تمتد إلى الجيش، بل إلى عموم الناس، وقد يستغرق علاج آثار القرارات المتسرعة سنوات؛ مما يؤدي إلى تأخير تحقيق الأهداف، فقد كان من السهل اغتيال أبي جهل، وإشعال معركة غير مدروسة وغير متكافئة لا يعلم مداها إلا الله تعالى، فلابد من التروي ودراسة الأمور بجدية قبل اتخاذ أي قرار، علماً بأن هذا البند لا ينافي الجرأة والشجاعة.

٦ - ربط الناس بالعقيدة والمبادئ والقيم والمعايير لا بالأشخاص:

الولاء للعقيدة قبل أي ولاء[3]: كما في بيعة العقبة الثانية: «فإن وفيتم فلكم الجنة»، وكما أمر آل ياسر بالصبر على الأذى بقوله ﷺ: «اصبروا آل ياسر؛ فإن موعدكم الجنة» وفي قوله: «اللهم اغفر لآل ياسر»، وكما في التحريض على القتال في سبيل الله بقوله: «قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض»، بل لما قبل بعض الناس الإسلام على أن يكون لهم الأمر من بعده ﷺ رفض ذلك معتذراً بأن الأمر لله يضعه حيث يشاء.

---

(١) انظر سيرة ابن هشام- عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري- المعافري- الناشر مصطفى الباب الحلبي- مصر- ستة النشر ١٣٧٥هـ وانظر أيضاً نور اليقين في سيرة سيد المرسلين- تأليف الشيخ محمد الخضري بك- دار الإيمان طبعة ثانية منقحة ص ١٣٥- ١٣٦.

(٢) الرحيق المختوم- بحث في السيرة النبوية- تأليف الشيخ صفي الرحمن المبركفوري- مؤسسة الرسالة ناشرون- ط أولى- ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م- الحديث حسن رواه ابن اسحق بسند صحيح- تاريخ الطبري ٢/٣٦٤ السيرة النبوية ١/١٠٢.

(٣) انظر سيرة ابن هشام١/٣١٩- ٣٢٠- انظر صور من حياة الرسول ص٢٢٩.

٧ - القيادة الشورية المؤسسية:

الشورى منهج إسلامي أصيل ونجاح المجتمع الإسلامي مرهون بصحة شوراه. كما في اختيار مكان معركة بدر، حيث أشار الحُبَاب بن المنذر بالنزول عند أدنى ماء من بدر وتغوير بقية القُلُب، وكما جعل ﷺ يقول ويكرر: أشيروا عليّ أيها الناس، وكذلك في اتخاذ القرار المناسب في التعامل مع الأسرى حيث استشار كلاً من أبي بكر وعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما، فلم يكن ﷺ يقطع أمراً دون أن يأخذ رأي أصحابه، سيما في المسائل العامة، والأمور التي تهم جميع المسلمين، وهذا يشعر الناس باهتمامه ﷺ بهم وأهميتهم ومكانتهم عنده، فيبادلونه الشعور بالشعور، والإحساس بالإحساس[1].

٨ - المرونة القيادية:

وهذه لازمة لزوماً ضرورياً للقائد العبقري الفذ، فقد تنازل النبي ﷺ عن رأيه يوم بدر لرأي الحُبَاب بن المنذر، كما تنازل لرأي شباب الأنصار بالخروج للقتال خارج المدينة يوم أُحُد. (الرحيق المختوم - ص١٩٩).

٩ - الخبرة بالجنود والأتباع وقدراتهم:

وذلك بهدف توزيع المهام عليهم حسب طاقاتهم وقدراتهم، كما في اختيار قائدي كتيبة المهاجرين والأنصار يوم بدر، واختيار حامل الراية يوم خيبر، واختيار المبارزين الأكْفاء في بدر وخيبر أيضاً، واختيار حذيفة بن اليمان ليأتي بأخبار القوم يوم الخندق، واختيار أسامة بن زيد لغزو الروم، ونحو ذلك، وهذا من مواصفات القيادة الناجحة التي تحسب لكل شيء، ولديها القدرة على تقدير المواقف.

١٠ - توزيع المسئوليات والمهام:

حيث كان يختار النبي ﷺ بعض أصحابه للقيادة، وبعضهم للصلاة بالناس، وبعضهم للدعوة، وبعضهم للقضاء، وبعضهم للحكم والسياسة على المدينة في غيابه عنها أو ليكونوا أمراء على قومهم، كما اختار حذيفة ليكون أمين سرِّه ﷺ، وليحتفظ بأسماء المنافقين.

---

(١) صور من حياة الرسول - أمين دويدار - دار المعارف - الطبعة الرابعة/ ١٩٥٣ مرجع سابق ص٣٠٨ وص٣٢١ - الرحيق المختوم - مرجع سابق ص ١٩٦ -١٩٧.

١١ - مشاركة الجنود أعمالهم المكلفين بها (سياسة تقسيم الأعمال):

حيث كلف أصحابه بحفر الخندق لما أشار سلمان الفارسي به[١]، وقسم لنفسه كما قسم لأصحابه، بل كان يعاونهم في تذليل العقبات التي تعترضهم، ولما كانوا في سفر قال: «وعليّ جمع الحطب»، فلم يكن ﷺ يميز نفسه دونهم رغم تميزه بمقام النبوة والرسالة، وبموقع القيادة فيهم، وهذا يجعل الجنود يتفانون في تنفيذ أوامر القائد؛ لأنه يشعرهم بأنه واحد منهم وليس متعالياً عليهم.

١٢ - القدرة على الكتمان والتخفي والتمويه:

أول مبادئ الحكمة «استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان» فما أراد ﷺ غزوة إلا ورّى بغيرها إلا غزاة تبوك، وكان يخرج بالجيش فيكمن نهاراً ويسير ليلاً، وقال للسائل في طريق بدر: نحن من ماء[٢]، وقال لعمرو بن عبسة حين سأله عمّن معه على هذا الإسلام: حر وعبد، وقال أبو بكر: هذا يهديني السبيل للذي سأله عن الرجل الذي بين يديه، وبيّن النبي ﷺ أن في المعاريض لمندوحة عن الكذب.

١٣ - الخبرة بنفوس الأعداء وكيفية التأثير عليهم:

وقد أصبح هذا علماً خاصاً في زماننا بدراسة طبائع الأقوام وقيمهم ومعاييرهم وثقافاتهم وعاداتهم، والغرب الصليبي لم يستطع أن يغزونا عسكرياً ويفتت وحدتنا إلا بعد أن تنبه لدراسة تراثنا وأعرافنا فيما عرف بحركة الاستشراق، ومما يدل على ذلك إعطاء النبي ﷺ رايتين سوداوين لقائدي كتيبتي المهاجرين والأنصار يوم بدر؛ لأن العرب كان يتشاءمون من السواد، فعندما يروا الرايتين المرفوعتين سوداوين تتأثر نفوسهم وتتشاءم، فتحدث لهم الهزيمة النفسية قبل الهزيمة العسكرية في ميدان المواجهة.

---

(١) نور اليقين- مرجع سابق ص١٥١.

(٢) الرحيق المختوم ص١٩٧- انظر سيرة ابن هشام الجزء الأول- نور اليقين في سيرة سيد المرسلين- الشيخ محمد الخضري بك- دار الإيمان دمشق سوريا- ط٢ منقحة- تحقيق حمدي زمزم- صور من حياة الرسول- أمين دويدار- دار المعارف- الطبعة الرابعة- الرحيق المختوم- الشيخ صفي الدين المباركفوري- مؤسسة الرسالة ناشرون- الطبعة الأولى- ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

١٤ - القدرة على صراع الأدمغة:

فقد اضطر ﷺ قريشاً لاستنفاد كل وسائلها وطاقاتها أثناء المواجهة في مكة، وكل إمكاناتها في المفاوضات مع زعمائها دون أن يقدروا على أن ينالوا منه تنازلاً ولو عن شيء من دعوته، وقد كانت الأيام الثلاثة الأولى من الهجرة أثناء الاختباء في غار ثور سبباً في مصارعة قريش لكل أدمغتها بعد فشل خطتها في قتل النبي ﷺ وهو بين أيديها لما عزمت على اغتياله وتصفيته، فراحت تبحث في كل مكان وتسأل كل إنسان تلقاه وتفتش في كل زاوية أو اتجاه دون أن تعثر على أثر أو تقف على معلومة عنه وعن صاحبه.

١٥ - القدرة على امتصاص الضربات:

ومن الأمثلة في السيرة النبوية على ذلك حادث بئر معونة، وحادث بئر الرجيع، وحادث ردّ أهل الطائف له وإيذائه، وحادث الإفك..[١]

١٦ - الثبات والقدرة على إدارة الأزمات والتعامل مع الشائعات:

ففي القرآن الكريم في سورة النساء في حق المنافقين: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ ﴾ [النساء: ٨٣]، كما تعامل ﷺ بثبات ورباطة جأش وحسن تخطيط وإدارة مع شائعة قتله ﷺ يوم أُحُد، واستطاع بالصبر والحكمة والاحتمال والسؤال وانتظار الوحي أن يتعامل بمهنية عالية مع شائعة الإفك إذ كانت تمثل أزمة كبيرة كادت تقتلع الدعوة الإسلامية في المدينة المنورة من جذورها، وكذلك تعامله ﷺ مع أزمة أُحُد وما نتج عنها، وتعامله مع محاولة قتله ليلة الهجرة، وكذلك استطاع إدارة الأزمة المالية استعداداً لغزوة العسرة، بما أوتي من بسطة في العلم والجسم (نور اليقين ٧٩-٨١).

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ٢/١٨٣-١٨٨ - زاد المعاد ٢/ ١٠٩ - صحيح البخاري ٤٠٦٨- بئر معونة- نور اليقين- ١٣٨١٣٩ في السنة الرابعة للهجرة- رد أهل الطائف نور اليقين ٦٧-٦٨ حادث الإفك السنة الخامسة للهجرة نور اليقين ص ١٤٧.

١٧ - معرفة أخبار الدول المجاورة وسياساتها ومتابعة تطوراتها:

فقد كان يفاجئ القبائل التي تستعد لغزو المدينة بالسرايا التأديبية، وكما راح يجمع المعلومات عن قريش في الهجرة بوصفها عدواً له ولدعوته، وكما قال للخزرج حين لقيهم في الموسم: "أمن موالي يهود"، وندب أصحابه للخروج إلى أرض الحبشة معللاً ذلك بأن بها ملكاً عادلاً لا يظلم عنده أحد، علاوة على استعداده لمواجهة الروم لما نقل إليه خبر إعدادهم لغزو المدينة.

١٨ - تعليم القيادة منذ اللحظة الأولى:

فقد قال للأنصار لما بايعوه ﷺ بيعة العقبة الثانية: «أخرجوا إليّ منكم اثني عشر نقيباً يكونوا على قومهم» فلا يجوز أن يترك الناس هملاً بلا قيادة، وينبغي مراعاة نفوس الناس، فقد ترك ﷺ الأمر إليهم ليختاروا نقباءهم بأنفسهم، ولم يفرضهم عليهم؛ لما لذلك من أثر في سلامة العمل ونجاحه. "نور اليقين - ص٧٧- ٧٨" بعد العقبة الثانية.

١٩ - القدرة على صناعة القادة:

كما حدث في دار الأرقم بن أبي الأرقم وذلك من خلال تعليمهم القرآن الكريم، وتوجيهاته العقدية والأخلاقية والأمنية والتربوية، وتنمية مواهبهم وقدراتهم، ورفع هممهم وعزائمهم، فقد خرجت مدرسة دار الأرقم كبار القادة كسعد بن أبي وقاص وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وغيرهم كما تربى فيها كبار الدعاة والمربين من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم. سيرة ابن هشام ٢٦٣/١ - الرحيق المختوم ص٨٣.

٢٠ - العفو والتسامح:

كما في رجوعه من الطائف حيث جاءه ملك الجبال بصحبة جبريل ليأمره ﷺ بما شاء فيهم، فقال: «لا بل أستأني بهم، فعسى الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً» مع قدرته على الانتقام حينئذ، وجاءه جابر بن عبد الله الأنصاري فقال له: يا رسول الله، أحرقتنا نبال ثقيف فادع الله عليهم، فقال: «اللهم اهد ثقيفاً» وجاءه الطفيل الدوسي فقال له: يا رسول الله، إن دوساً عصت وأبت فادع الله عليهم،

فرفع يديه وقال: «اللهم اهد دوساً وأْتِ بهم[1]»، وقال للمشركين يوم فتح مكة: «ماذا تظنون أني فاعل بكم؟» قالوا خيراً أخ كريم وابن أخ كريم. قال: «اذهبوا فأنت الطلقاء». الرحيق المختوم ص٣٩٠/ ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ﴾ [يوسف: ٩٢].

٢١ - التواضع والاستماع للناس حتى نهاية حديثهم:

فيستمع للأفكار المطروحة، فقد استمع إلى عتبة بن ربيعة لما جاء يفاوضه، وقد كال له عتبة مجموعة من الشتائم مثل: "ما رأينا سخلة قط أشأم على قومك منك، حتى لقد طار أن في قريش ساحراً وأن في قريش كاهناً"، كما استمع إلى عروضه، وإلى أسئلته، فلما أتم عتبة كلامه قال: «أفرغت يا أبا الوليد» قال: نعم، فلم يردّ على عروضه، وتلا عليه صدراً من سورة: "فصِّلت" آية ١ -٧، وليس معنى الاستماع الموافقة على ما يطرح عليه، كما كان ﷺ يمشي مع من يأخذ بيده إلى نهاية الطريق، وكان لا يترك يده من يد من يصافحه حتى يكون الآخر هو الذي يبدؤه بالترك، فمن أحب نفسه دون قومه كرهه قومه، وقد أوصى رجل ولده فقال له: "ألِن جانبك لقومك يحبوك، وتواضع لهم يرفعوك، ولا تستأثر عليهم بشيء يسوّدوك، وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم يكرمك كبارهم ويكبر على مودتك صغارهم"، ومن ذلك أن يؤثر القائد غيره على نفسه. (الرحيق المختوم ٩٧ -٩٨/ ابن هشام ١/٢٩٣ -٢٩٤.

٢٢ - الرقابة والمتابعة:

كما في إتيانه مسجد قباء كل سبت راكباً وماشياً لمواصلة الأنصار وتفقد من لم يحضر منهم صلاة الجمعة، وإشرافه على المعركة بنفسه، ومتابعته لتنفيذ المهام الموكلة إلى الصحابة بنفسه، وغير ذلك[2].

(١) صحيح البخاري- كتاب المغازي- باب قصة دوس ٤١٣١.

(٢) شخصية الرسول ﷺ القيادية: دراسة تحليلية مختصرة- الجامعة الإسلامية بغزة- http://site.iugaza.edu.sp يوسف محيي الدين فايز الأسطل- ٢٠١٠ -٢٠١٤م.

المبحث الثالث- ابرز الصفات القيادية للنبي محمد ﷺ[1]

قيادة الرسول عليه السلام:

نجح النبي محمد عليه الصلاة والسلام في قيادة الأمة الإسلامية إلى ما فيه خيرها وصلاحها في الدنيا والآخرة بما توفر في شخصه من الصفات القيادية، والشمائل والأخلاق الكريمة التي أهلته لأن يكون مثالاً ونموذجاً كاملاً في القيادة الحكيمة الناجحة القادرة على السير بالأمة لتحقيق الأهداف والغايات التي جاءت من أجلها رسالة الإسلام.

المطلب الأول: بعض أهم الصفات القيادية للرسول ﷺ :

ظهرت صفات القيادة عند النبي عليه الصلاة والسلام مبكراً حينما استطاع أن يدير أموال السيدة خديجة رضي الله عنها، ويعقد الصفقات التجارية الرابحة مع التجار[2].

ومن صفات القيادة التي توافرت في شخصه عليه الصلاة والسلام نذكر:

أولاً: العفو والتسامح:

وأزيد على ما سبق أن من صفات الرسول عليه الصلاة والسلام القيادية أنّه كان قائداً متسامحاً يعفو عن المسيئين ويلتمس لهم الأعذار، ومن المواقف التي دلت على هذا الخلق الكريم موقفه مع الصحابي حاطب ابن أبي بلتعة الذي سرب أخبار المسلمين ونقلها إلى الكفار، فقد عفى عنه النبي عليه الصلاة والسلام بعد الاستماع إلى حجته بسبب أنّه كان أحد الذين شهدوا بدراً ولعل الله يغفر له بسبب ذلك[3].

ثانياً: تأليف القلوب وإزالة الشحناء من النفوس:

كان أول أمرٍ يقوم به الرسول ﷺ حينما قدم إلى المدينة أن يؤاخي بين المهاجرين والأنصار في حدث المؤاخاة الشهير، والذي جعل مجتمع المدينة لحمةً واحدة[4]، كما أنّ

---

(١) صفات الرسول في القيادة بواسطة: طلال مشعل- آخر تحديث: ١٢: ٣٠، ٢٩ يونيو ٢٠١٧ ذات صلة صفات القيادة.

(٢) الرحيق المختوم ص٨٥-٨٦ .

(٣) نور اليقين ص ٢٠٤.

(٤) نور اليقين ص٨٨.

من سياسته عليه الصلاة والسلام في تأليف القلوب أنّه كان يستميل قلوب الناس الذين أسلموا حديثاً من أهل مكة بدفع الغنائم والأموال إليهم حتى يصير الإسلام في قلوبهم أحب إليهم من أولادهم وأموالهم والناس أجمعين.

ثالثاً : الحزم في الأمور:

على الرغم من تسامح النبي عليه الصلاة والسلام إلا أنّه كان حازماً في اتخاذ الأمور لا يتردد في إصدار القرارات حينما يستدعي الأمر ذلك، ومن ذلك أمره بهدم مسجد الضرار الذي يناه المنافقون إرصاداً لمن حارب الله ورسله، وموافقته على انتداب سرية محمد بن مسلمة لقتل كعب بن الأشرف الذي آذى الله ورسوله كثيراً[1].

رابعاً: التشاور مع المسلمين:

كان الرسول ﷺ يتشاور مع المسلمين، ويستمع إلى آرائهم، ومن ذلك أخذه بمشورة سلمان الفارسي رضي الله عنه يوم الأحزاب حينما أشار عليه بحفر الخندق[2]. وأخذه برأي الحباب ابن المنذر في غزوة بدر، وأخذه ص برأي نوفل ابن معاوية في غزوة حصار الطائف[3].

خامساً: لين الجانب وسماحة الخلق:

كان عليه الصلاة والسلام رفيقاً بالمسلمين لا يكلفهم ما لا يطيقون من الأعمال، قائداً رحيماً ودوداً بعيداً عن الغلظة والشدة التي تنفر الناس من القائد.

سادساً: القدرة على فهم شخصيات من يقودهم:

كان النبي عليه الصلاة والسلام قائداً حكيماً يعلم معادن الرجال وقدراتهم، وحينما أتاه أبو ذر يطلب الإمارة اعتذر عن ذلك بقوله: «يا أبا ذرٍّ! إنك ضعيفٌ. وإنها أمانةٌ. وإنها يومَ القيامةِ، خزيٌ وندامةٌ»[4].

---

(١) مرجع سابق ص٢٢٩.

(٢) صحيح البخاري- باب غزوة الخندق (٤٠٩٣).

(٣) رحيق المختوم ص٤٠٥ نور القين ص ١١٠.

(٤) صحيح مسلم- الإمارة (١٨٢٥)- جامع السنة.

المطلب الثاني: التحلي بمبادئ الحرب ومتطلباتها وتطبيقها:

لقد بلغ النبي ﷺ المرتبة القصوى في التحلي بمبادئ الحرب والأخذ بها فقد كان يعرف هذه المبادئ ويحسن تطبيقها إذا دعته الحاجة إلى ذلك وتتلخص هذه المبادئ في الأوجه التالية[1]:

أولاً: تحديد الهدف:

من الضروري في كل حركة حربية وهو تحطيم إرادة العدو على القتال وقد طبق الرسول ﷺ هذا المبدأ في صلح الحديبية إذ كان مقصده التأثير على معنويات قريش دون أن يعمد إلى قتالهم وبقي عليه السلام مصرا على هذا المقصد حتى كتابة صلح الحديبية ورجوعه إلى المدينة. كما أن الموافقة على شروط صلح الحديبية:

١ - أتاح الفرصة للنبي ﷺ أن يتفرغ للمنافقين.

٢ - أتاح الفرصة لنشر الدعوة الإسلامية بعيداً عن الحجاز بإرسال الرسل والرسائل للملوك والأمراء وزعماء القبائل.

٣ - أتاح الحرية للقبائل بالانضمام للإسلام حيث أصبحت خزاعة حليفة للمسلمين. (وكان عدد المسلمين في هذا الصلح ١٤٠٠ معتمر وبعده بعامين فتح المسلمون مكة وكان عددهم ١٠٠٠٠ مقاتل).

ثانياً: التعرض:

يعني الهجوم على العدو لسحقه ولهذا المبدأ ووجهة النظر العسكرية منافع عظيمة فهو يعطي القائد فرصة السيطرة على الموقف وحرية التحرك في الميدان ويمنحه روحاً قتالية عالية ومعنويات مرتفعة شعوراً بالتغلب على الخصم والهدف من التعرض هو كسر شوكة العدو وإضعاف قدرته على المقاومة وتحطيم روحه المعنوية وقد طبق الرسول ﷺ هذا المبدأ في عامة غزواته عدا غزوتي أُحد والخندق. وهناك مبدأ عسكري يقول خير وسيلة للدفاع هي الهجوم لأن الدفاع وحده لا يحقق النصر.

---

(١) http://alelmwalmarefa.blogspot.com مبادئ الحرب (القتال) التي طبقها النبي محمد ﷺ مدونة العلم والمعرفة للجميع.

ومبدأ التعرض يقوم على ثلاثة أسس هي:

- الجانب المعنوي: وهو الرغبة في النصر وقوة العزيمة وإمكانية المواجهة.

- الجانب المادي: وهو استخدام كل ما يمكن إعداده من سلاح وقوة بشرية.

- الجانب العقلي: وهو القدرة على التنفيذ. ولا يكون التعرض ذو جدوى إلا إذا استكملت هذه الأسس جميعاً.

ثالثاً: المباغتة:

إنها من أكبر العوامل الهامة والمؤثرة في الحرب، وأكثر ما يتجلى تأثيرها على المعنويات لأنها تسبب الإرباك والدهشة للعدو. والمباغتة هي الظهور أمام العدو في وقت لا يقدره وبصورة لا يتوقعها وبأسلوب يجهله وهي أقوى العوامل وأبعدها أثراً في الحرب إذ إن تأثيرها النفسي عظيم جدا وذلك لما تحدثه من شلل غير متوقع في تفكير قائد العدو فينعكس هذا على نفسيات الجنود حتى يصابون بالهزيمة. إن ابتكار أسلوب المباغتة للعدو يتمثل في: جمع المعلومات عن قوة العدو القتالية ورفع الروح المعنوية لدى جيشه والبدء بالهجوم ووضع الخطط الحربية.

لما أراد فتح مكة أمر الناس بالتجهز وكتم مخرجة وسأل الله أن يعمي على قريش خبره حتى يبغتهم في بلادهم لنصرة عمرو بن سالم الخزاعي.

وتتخذ المباغتة صوراً ثلاث يمكن تلخيصها في الفروع التالية:

أ - المكان: لقد كان النبي عليه السلام يلجأ إلى تطبيق هذه الصورة في معظم غزواته أخرج البخاري بسند متصل عن الزهري قال: أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب ابن مالك قال: سمعت كعب بن مالك ﷺ يقول: (كان رسول الله ﷺ كلما يريد غزوة يغزوها إلا وارى بغيرها) ومن الأمثلة على المباغتة بالمكان مباغتته عليه السلام لبنى الحيان في ديارهم حتى تمنعوا في رؤوس الجبال.

ب - الزمان: وذلك بمباغتة العدو في زمن لم يكن يتوقعه، كما فعل النبي عليه السلام مع بني قريضة حال عودته من غزوة الأحزاب.

فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ لما رجع يوم الخندق ووضع السلاح واغتسل فأتاه جبريل وقد عصب رأسه الغبار فقال: وضعت السلاح فو الله ما وضعته فقال رسول الله ﷺ فأين قال: ها هنا وأومأ إلى بني قريضة قالت: فخرج إليهم رسول الله عليه الصلاة والسلام.

ج - الأسلوب: وهو أن يتخذ القائد الهجوم على العدو أسلوباً لا يتوقعه ومثال ذلك استخدامه ﷺ المنجنيق في حصار الطائف حيث لم يكن هذا السلاح مستخدما عند العرب من قبل. (استخدامه المنجنيق والدبابة في حصار الطائف)[1]. كما استخدم النبي ﷺ أسلوب الصف في بدر إذ كانت تعبئة جديدة ساعدت على السيطرة وضبط القوات والاحتفاظ باحتياط الطوارئ ومفاجأة العدو، ومن الأساليب حفر الخندق، ومسير الاقتراب ليلاً في الوصول إلى خيبر ومفاجأة اليهود.

رابعاً: الحنكة وبعد النظر:

وللدلالة على ذلك يمكن الاستشهاد بما يلي:

لم يبدأ الجهاد في الإسلام إلا بعد أن حل مشاكل الهجرة، وذلك من خلال:

أ - آخى بين المهاجرين والأنصار.

ب - آخى بين الأوس والخزرج من الأنصار.

ج - نظم العلاقة مع اليهود بعهود ومواثيق.

خامساً: إرسال دوريات الاستطلاع وسرايا القتال الأولى:

ويهدف من ذلك إلى:

---

(١) **المنجنيق**: هو عربة ذات عجلتين في رأسها حلقة أو بكرة يمر بها حبل متين في طرفه الأعلى شبكة في هيأة كيس وتوضع في الشبكة حجارة أو مادة محترقة ثم تحرك بواسطة العامود والحبل فيندفع ما وضع في الشبكة من قذائف ويطير إلى الأعلى فيحرق ويدمر ما يسقط عليه. أما **الدبابة** فهي آلة من الخشب الثخين المغلف بالجلود، تركب على عجلات مستديرة يستطيع المشاة الاحتماء بها من النبال والسهام.

١ - ليتعرف المسلمون على الطرق المحيطة بالمدينة وخاصة المؤدية إلى مكة.

٢ - لموادعة ودعوة بعض القبائل إلى الإسلام.

٣ - لرصد تحركات المشركين.

سادساً: حسن الاستعداد:

ويتضح ذلك بوضع الخطط المناسبة للمعركة قبل دخولها مثل:

أ- ترتيب المقاتلين في صفوف ترتيباً لم يعهده المشركين من قبل كما حدث في غزوة بدر.

ب- إغلاق بعض آبار بدر والإبقاء على بئر واحد يشرب منه جيش المسلمين.

ج- وضع الرماة على تل الرماة في معركة أُحد.

د- حفر الخندق حول المدينة المنورة في غزوة الأحزاب

سابعاً: الثبات ورباطة الجأش رغم الأهوال:

والأمثلة والمواقف كثيرة نذكر منها:

١ - غار ثور ومنه قوله (يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما).

٢ - غزوة بدر طمئن أصحابه بالنصر رغم أن قواته ثلث قوات العدو بل انه حدد مصارع بعض المشركين على الأرض.

٣ - ثباته يوم أُحد وإعادة تجميع المسلمين.

٤ - يوم حنين: ظل ينادي وهو على بغلته «أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب».

ثامناً : الحكمة وحسن التصرف :

يتضح ذلك في المواقف التالية:

١ - بعد خسارة معركة أُحد أمر الجيش بالتجهز والمسير إلى حمراء الأسد.

٢ - خطته عليه السلام لفتح مكة المكرمة.

تاسعاً: المعرفة بنفسيات الناس:

١ - استمالة المؤلفة قلوبهم بالمال.

٢ - الفراسة.

٣ - إسلام خالد بن الوليد.

٤ - إسلام أبو سفيان بن حرب.

عاشراً: حسن الاختيار (الفراسة):

اختيار الرجل المناسب للمقام المناسب ومنه:

١ - مواقف تحتاج إلى شجاعة كلف بها أبي دجانة.

٢ - حث المسلمين واستنفارهم استفاد من شعر حسان بن ثابت.

٣ - بث الإشاعات وبلبلة الأفكار استفاد من نعيم بن مسعود.

٤ - مواقف قيادية مثل إعطاء الراية يوم خيبر لعلي بن أبي طالب.

أحد عشر: الشجاعة:

كان دائماً يتقدم الصفوف ويصارع أقوى القادة الكفار، يقول علي بن أبي طالب (كنا إذا احتشد البأس ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله ﷺ فما يكون منا أحد أدنى إلى القوم منه)[1] والمواقف كثيرة لا تحصى، يؤكد انس ابن مالك رضي الله عنه بما حصل لأهل المدينة يوما حينما فزعوا من صوت عال فأراد الناس أن يعرفوا سبب الصوت وبينما هم كذلك إذ أقبل عليهم النبي ﷺ على فرس رافعاً سيفه قائلاً لهم: «لم تراعوا لم تراعوا») أي لا تخافوا ولا تفزعوا.. رواه بخاري ومسلم.

وفي الغار قال لسيدنا أبي بكر والمشركون حول الغار: «لا تحزن إن الله معنا» وقال رجل رفع السيف على النبي ﷺ وهو نائم: من يمنعك مني فأجاب الرسول ﷺ إجابة الشجعان الأبطال من غير خوف: «الله يمنعك مني» وفي حنين عندما فر بعض الصحابة أقبل النبي ﷺ بكل شجاعة وهو يقول بصوت عالٍ «أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب».. رواه البخاري ومسلم.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده.

اثني عشر: رجاحة العقل:

حادثة بناء الكعبة ووضع الحجر الأسود:

ثلاثة عشر: اللياقة البدنية:

١ - المسير الطويل المضني في غزوة بني المصطلق.

٢ - المسير الطويل المضني في غزوة تبوك (العسرة).

٣ - المشاركة في حفر الخندق، كان الصحابة إذا اعترضتهم صخرة أو نحوها لجأوا إلى رسول الله ﷺ فضربها بمعوله، فتفتت وصارت تراباً ناعماً[١].

(١) www.Altaebeen.com شواطئ التائبين - من قسم: شاطئ السيرة النبوية - انظر صور من حياة الرسول - مرجع سابق ص٤٢٢ - سيرة ابن هشام - الرحيق المختوم - نور اليقين.

المبحث الرابع- محمد عليه الصلاة والسلام الرسول القائد المبدع

يجمع الباحثون والكتاب على أن رسولنا الكريم محمد ﷺ هو رجل الدولة الأول: سياسياً وعسكرياً. وفي كل مرة كان في القمة التي لا يرقى إليها أحد وهو الأمي الذي لا يعرف قراءة ولا كتابة مما يدل على أن المسألة هنا ربانية المبدأ والطريق والنهاية.

المطلب الأول: ملامح قيادة الرسول ﷺ للأمة الإسلامية[1]

حقاً لقد صدق "جورج سباين" إذ قال في كتابه "تطور الفكر السياسي": "حتى تستطيع أن تعْرِف الأمة، حاول أن تعرف قائدها وملامحه السياسية والعقلية. وستجد عشرات من الأمم سقطت في الحضيض بسبب حكامها، وبالعكس هناك من الأمم من حققت الانتصارات والنهضات والتقدم على أيدي قادتها البارعين".

وصفوة ما يقال في ملامح قيادة الرسول ﷺ للأمة الإسلامية أنها كانت قيادة واقعية، مزجت بالمثالية بعيداً عن الإسراف والشطط: فهي واقعية مثالية، ومثالية واقعية.

الدكتور جابر قميحة أستاذ الأدب العربي بجامعة عين شمس يلقي الضوء على ملامح هذه القيادة في صورتها التربوية والنفسية والسياسية والروحية فيقول:

١ - القائد النموذجي الرشيد لابد أن يكون قدوة حسنة في أقواله وأفعاله قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١].

والأسوة تعني القدوة، وتعطي كذلك معنى الدواء والشفاء والمعنيان متوفران في رسول الله ﷺ. وقد قال سيدنا علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه: "كنا إذا اشتد البأس، واحمرت الحَدَق، وتحشرجت الصدور، وتقفعت الأصابع، وبلغت القلوب الحناجر اتقينا برسول الله ﷺ". (أخرجه أحمد في مسنده)

٢ - وأن يكون ذا وعي شامل حقيقي لمجريات الأمور، والتصرف معها -تبعاً للثوابت والمتغيرات- بمرونة وتأن بعيدا عن الجمود والتطرف.

---

(١) http://www.almostshar.com موقع المستشار. ملامح قيادة الرسول ﷺ منى ثابت.

٣ - وأن يكون عادلاً وحافظاً للأمانة، يحسن اختيار الرجال في مواقع المسئولية المختلفة، قال رسول الله ﷺ: «إذا ضُيِّعتْ الأمانة، وَوُسِّد الأمرُ غيرَ أهلِه فانتظر الساعة. (رواه البخاري)[١].

٤ - وأن يكون مهيبا بمعنى أن يكون القائد له مكانة عند جنوده، وأعدائه، وقد قيل لأحد الصحابة صف لي رسول الله ﷺ فكان جوابه: "والله لا أستطيع؛ فكلما هممت أن أتأمل وجهه أخذتني هيبته". وهيبة القائد تولد في الجنود الحب والطاعة والتقدير. وقد قيل عن خالد بن الوليد:

إذا قال سيف الله كرُّوا عليهمـــو كررنا بقلب رابط الجأش صـــارم

قال سيدنا علي كرم الله وجهه في وصف النبي ﷺ: "من رآه بديهة هابه ومن خاطه أحبه".

٥ - ومن أهم ملامح القائد النموذجي القدوة، "الرحمة" يقول الدكتور جابر قميحة: و لم تكن رحمة محمد ﷺ تقف عند حد فهي متسعة الأرجاء ممتدة المناحي: نقل القاضي عياض عن بعض العلماء قوله: "ومن فضل محمد أن الله أعطاه اسمين من أسمائه فقال: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة الآية ١٢٨].

وما حدث في فتح مكة فيه من قيم الرحمة والإنسانية الكثير والكثير، فمن ذلك: أمر المسلمين أن يدخلوا مكة بروح الموادعة والرحمة والمسالمة بلا قتال. لقد كان ضمن الجيش الزاحف ما يُسمَّى بـــ"الكتيبة الخضراء" أو "كتيبة الحديد"[٢] - وهي كما نسميها اليوم - "الكتيبة المدرعة"، وكان عليها "سعد بن عبادة" الذي أخذه شيء من الزَّهْو، فصاح: "اليوم يوم الملحمة، اليوم تُستحَل الحرمة، اليوم أذل الله قريشاً، فغضب النبي ﷺ وأعطى الراية لـــ"علي بن أبي طالب"، وقال: "لا يا سعد، بل اليوم يوم المرحمة، اليوم تقدس الحرمة، اليوم أعز الله قريشاً بالإسلام[٣].

---

(١) صحيح البخاري - كتاب الرقائق - باب رفع الأمانة - الجزء ٤ (٦١٣١).

(٢) انظر تهذيب سيرة ابن هشام ص٦١ قال ابن هشام إنما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره غبها.

(٣) عيون الأثر ٢/٢٢٣- انظر صور من حياة الرسول- ص ٥٣٨- ٥٣٩.

ووسع الملاذ لمن يريد الأمان من المشركين فأعلن ﷺ "من دخل داره فهو آمن، ومن دخل البيت الحرام فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن»، ودخل مكة في تواضع عجيب -كما ذكرنا آنفاً- ورفض عرض "علي بن أبى طالب" -كرم الله وجهه- بأن تكون الحِجابة لهم، وقد انتزع "علي" رضي الله عنه مفتاح الكعبة من[1] "عثمان بن طلحة" -سادنها في الجاهلية- فأخذ النبي ﷺ المفتاح، وأعاده لـــ"عثمان"، وأبقى سدانة البيت له ولقومه، وقال: "هاك مفتاحك يا عثمان فاليوم يوم بر ووفاء". وأعلن العفو العام عن قريش بمقولته الكريمة المشهورة: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»[2].

وكان رحيماً بالأطفال محباً لهم قال أبو هريرة: قبل رسول الله ﷺ الحسن بن علي، وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالساً. فقال الأقرع إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً، فنظر إليه رسول الله ﷺ وقال: لا تلي لنا أمراً. من لا يَرحم لا يُرحم. (متفق عليه)[3].

ويروى أنه صلى بأمامة ابنة ابنته زينب يحملها على عاتقه، فإذا سجد وضعها، وإذا قام حملها. وكان رحيما حتى مع المخطئين، وموقفه من ماعز ومن الغامدية معروف، فإذا ما كان الخطأ ناتجاً عن جهل بقواعد الدين أو قواعد التعامل والعلاقات الاجتماعية لم يقس على المخطئ، بل أخذه بالرأفة ووجه نظره في هوادة. فحينما رأى المسلمون أعرابيا يبول في المسجد حاولوا أن يمنعوه ويؤذوه، فأمرهم النبي أن يتركوه ولا يقطعوا عليه بولته؛ لأن ذلك يحزنه ويؤذيه، ثم يدعو بدلو من ماء يصب على مكان التبول، ويرشد الأعرابي في رأفة وهوادة إلى ما يجب عمله في مثل هذه الحال[4].

ولم يُحرم الحيوان حظه الأوفى من رحمة رسول الله ﷺ فقد نهى أن يتخذ الناس الحي - أي الطير والحيوان - غرضاً توجه إليه السهام.

---

(١) الرحيق المختوم ص٣٩١.

(٢) المرجع السابق ص٥٤٠.

(٣) صحيح البخاري (٥٩٩٧) - مسند الإمام أحمد ١٤/٦٩.

(٤) رواه البخاري في خمسة مواضع - منها كتاب الوضوء ح ٢١٩- ٢٢٠- كتاب الأدب باب الرفق حديث (٦٠٢٥) ٦٥٨.

وهو عليه الصلاة والسلام القائل: «إن الله تعالى كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته»، ومن أعجب ما يروى في باب رحمته بالحيوان: أنه -والجيش يزحف إلى مكة- رأى (كلبة) تُرضع أولادها، فخشى أن يَسحقها الزاحفون دون أن يشعروا، فأمر "جعيل بن سراقة" أن يقوم حذاءها؛ حتى لا يعْرِض لها أحد من الجيش ولا لأولادها.

وأنذر عليه السلام بعذاب الله من يعذب حيواناً، فهو القائل: «عُذبت امرأة في هرة أوثقتها، فلم تطعمها، و لم تسقيها، و لم تدعْها تأكل من خشاش الأرض»[1].

٦ - ومن أهم ملامح القائد النموذجي الرشيد: الحلم والعفو عند المقدرة:

فقد كان عليه الصلاة والسلام حليماً وسع بحلمه كل من أساء إليه. وعفو النبي عن المسيء كان دائما عفو القادر الذي لا يعجز عن النصر والغلبة، و لم يكن عفو الضعيف المستضعف؛ لأن التصرف هنا لا يسمى عفوا ولكنه استسلام المقهور المغلوب الذي يعجز عن غالبه، ولا يملك شيئاً. وهو عليه السلام كان يعفو في مواقف يكون العفو فيها أكبر من أن تتحمله طاقة البشر: فعفا عن وحشي الحبشي قاتل أحب الناس إلى نفسه عمه حمزة، وعفا عن هند بنت عتبة التي دبرت مؤامرة قتل حمزة، ولاكت كبده يوم أحد، فلما استبد به الحزن والغضب في هذا اليوم المحزون أقسم أن يقتل بعمه سبعين رجلا من الكفار فنزل قوله تعالى يذكره بمقام النبوة ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦].

٧ - ومن أهم صفاته الوفاء، ويرسم الإمام الغزالي صورة حية للوفاء الحقيقي: فهو الثبات على الحب، وإدامته إلى الموت معه، وبعد الموت مع أولاده وأصدقائه، فإن الحب إنما يراد للآخرة، فإن انقطع قبل الموت حبط العمل، وضاع السعي، ولذلك قال عليه السلام في السبعة الذين يظلهم الله في ظله «ورجلان تحابا في الله، اجتمعا على

(١) صحيح مسلم كتاب السلام ٤٧٥٦ - صحيح البخاري ٣٣٦٥/٢٢٠٤ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

ذلك، وتفرقا عليه»[1] وقال بعضهم: "قليل الوفاء بعد الوفاة خير من كثيره في حال الحياة"، ولذلك روي أنه ﷺ أكرم عجوزاً أدخلت عليه، فقيل له في ذلك فقال: «إنها كانت تأتينا أيام خديجة، وإن كرم العهد من الدين».

٨- ومن أهم آلياته القيادية، "الشورى"، فنحن أمام قائد يأخذ نفسه بالعدل والشورى، ويُمَكن جنوده من إبداء ما يرون... إنها شورى حقيقية وليست شورى زائفة أو نظرية. وقد استشار أصحابه في غزوة بدر، وغزوة أحد، وغزوة الأحزاب، وفي صلح الحديبية.

تلك كانت أهم ملامح القائد النبيل، وفي المقابل يلقي الدكتور جابر قميحة الضوء على قيادة من نوع آخر تتمثل في "أبي جهل" الذي كان مثالاً للقائد المغرور، الذي لا يحسن تقدير المواقف فيقول: أبو جهل كان مستبداً برأيه، ولم يفتح أذنيه للرأي الآخر، فنزل المعركة وبينه وبين جنوده جدار من عدم الارتياح وفقد الثقة أي فاصل نفسي سميك. وكان قائدا أحمق لا يعتبر الحرب إلا نوعاً من الاستعلاء، والمظهرية الدعائية.

ويخلص د. قميحة إلى أنه بالقيادة الرشيدة انتصر المسلمون، وبالقيادة الغبية الحمقاء انكسر المشركون انكسارا شديدا، وهزموا هزيمة نكراء.

وما ذكرناه آنفا يمثل بعض ملامح القيادة الراشدة التي تقود الأمة إلى النصر المبين، وتقيها الهزيمة والسقوط. ولا قيمة لأية خطوة من خطوات الإصلاح، إذا كان على رأس الأمر قائد فاسد يقدم دنياه على أخراه[2].

المطلب الثاني: ملامح نبوية في القيادة الإبداعية[3]

يمكننا أن نقرأ السيرة النبوية للنبي محمد عليه الصلاة والسلام، قراءات متعددة؛ إذ يمكننا أن نقرأها قراءة عسكرية في حنكته عليه الصلاة والسلام في الغزوات التي قادها،

---

(١) أخرجه أحمد بسند حسن (٢/٥٤١) وأخرجه ابن حبان (٨١٩).

(٢) http://www.almostshar.com موقع المستشار. ملامح قيادة الرسول ﷺ / منى ثابت.

(٣) ملامح نبوية في القيادة الإبداعية. منتديات السبورة- مجلة المعلم- د. سلطان بخاري- مكة المكرمة- مجلة المعرفة العدد ١٥٩- ١٩-١١- ٢٠١. www.almualem.net.

ويمكن أن نقرأها قراءة قيادية من خلال أفعاله وتفاعله في المواقف المختلفة مع أصحابه في تسيير أمور الدولة الإسلامية التي بناها عليه الصلاة السلام، وهكذا... ونركز فيما يلي على الجانب القيادي الإبداعي في حياته ﷺ من خلال استعراض بعض المواقف من سيرته العطرة وأحداثها العظيمة، في تلك البيئة المتغيرة والمتحولة من الظلمات إلى النور. وتلك المواقف تبين وتوضح عدداً من السمات والخصائص النبوية المتمثلة في شخصه عليه أفضل السلام وأزكى التسليم؛ علّنا بذلك نستمد شيئاً من القبسات الإدارية والقيادية -التي نحن بأمس الحاجة إليها- لهذا المعين الذي لا ينضب في هداية المجتمع المسلم بخاصة والمجتمعات الإنسانية بعامة. قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب:٢١].

تمثل القيادة الإبداعية اليوم محوراً هاماً تدور حوله الكثير من أدبيات القيادة الإدارية، وأصبحت قدرة القائد في التأثير على الآخرين مثار تساؤلات الدارسين والباحثين في هذا المجال، ودافعاً لسبر أغوار أكثر عمقاً في موضوع القيادة الإدارية. وأصبح البحث اليوم منصباً على مفهوم قيادي ذي نوعية تتسم بالإبداع في مقابلة الخطوب التي تواجه المنظمات والمؤسسات في بحر متلاطم من التحديات المحلية والعالمية المعاصرة. لقد أصبح الحديث عن القيادة الإبداعية الهدف الأبرز الذي انصبت عليه جهود الدارسين والباحثين في المجال الإداري في السنوات الأخيرة.

أولاً: الإبداع وسمات المبدعين:[1]

عرف جيلفورد (١٩٥٠) الإبداع بأنه قدرة عقلية مركبة من عدد من القدرات كالطلاقة والمرونة والأصالة والتجديد. وعرفه كارل روجرز (١٩٥١) بأنه ظهور إنتاج جديد في العمل نتيجة تفاعل الفرد، كما عرفه «فروم (١٩٥٩) بأنه إنتاج إن الإبداع عملية ينتج عنها عمل جديد يرضي الجماعة، νιετσ شيء جديد. ويرى تقبله على أنه مفيد، فيما يرى روشكا (١٩٨٥م) أنه الوحدة المتكاملة لمجموعة العوامل الذاتية والموضوعية

(١) ملامح نبوية في القيادة الإبداعية. منتديات السبورة- مجلة المعلم - د. سلطان بخاري- مكة المكرمة- مجلة المعرفة العدد ١٥٩- ١٩-١١-٢٠١٢ .www.almualem.net.

التي تقود إلى تحقيق إنتاج جديد وأصيل وذي قيمة من قبل الفرد أو الجماعة. ومن هذه التعريفات المختلفة يمكن أن نستخلص بعض الملامح المميزة للإبداع؛ فمن المعايير المستخدمة في تحديد الإبداع وتعريفه: النتاجات غير العادية للفرد المبدع، والأصالة، والجدة، والقبول الاجتماعي لتلك النتاجات الإبداعية، والفائدة الاجتماعية لها.

وهناك جوانب مشتركة بين المبدعين وخصائص سلوكية ومعرفية تميزهم عن غيرهم وردت في دراسات كل من barronnon، MacKinnon Rank، Torrance، مثل: الاستقلالية، وحب المغامرة، والطاقة العالية، وحب الاستطلاع، والعمل المنفرد، واستخدام جميع الحواس في الملاحظة، والميل للفن والجمال، وعدم الخوف من النتائج المختلفة، والانجذاب للأمور الجديدة والمعقدة، والاستعداد الكلامي، وتحمل الغموض، وقدرات عالية في التخيل والتحليل والتركيب والتقييم، وبُعد الرؤيا، والتمييز بالتفكير المجازي، والقدرة على التحول والتوسع في الحدود، والتركيز على الأداء والإتقان، والحساسية العالية للمشكلات، والتنبؤ والحدس، كما يتميز المبدعون بأن لهم اهتمامات كثيرة جمالية بشكل خاص، ويتميزون بروح الفكاهة. وذكر رانك (١٩٨٠م)، Rank أن المبدعين يمتازون بتناقضات عصابية أحياناً. إلى أن آخرين أكدوا بأن المبدعين ذوي الموهبة الخاصة قد يكونون أو لا يكونون عصابيين، إلا أنهم يتميزون بهوايات تتسم بالغرابة. وقد أشار المعايطة (٢٠٠٠م) إلى تصنيف عن خصائص المبدعين التي أدرجها ضمن ١٢ بُعداً وهي على ديفيز (١٩٩٦م)، التوالي: الأصالة، الحدس، الفن، التفكير المنفتح، المغامرة، الحيوية، الفضول، الاستقلالية، روح الدعابة والمزح والسخرية، الميل إلى التعقيد، الحاجة إلى العزلة، الإدراك الإبداعي[١].

ثانياً: الإبداع النبوي في بيئة متغيرة[٢]:

هذه مجموعة من المواقف في سيرة النبي ﷺ التي يمكن من خلالها استنباط سمات وخصائص القيادة الإبداعية عنده عليه الصلاة والسلام، في تلك الفترة من تاريخ الإسلام التي تميزت بالتحول والتغير السريع والواضح في البيئة العربية من الضلال والكفر إلى النور

---

(١) https://hrdiscission.com.

(٢) ملامح نبوية في القيادة الإبداعية. منتديات السبورة- مجلة المعلم - د. سلطان بخاري- مكة المكرمة- مجلة المعرفة العدد ١٥٩- ١٩-١١- ٢٠١٢. www.almualem.net.

والإيمان، وهي سمات وخصائص قيادية كانت جديدة على الفكر والبيئة العربية في تلك الفترة، مما يدعم القول إنها خصائص وسمات قيادية إبداعية.

ثالثاً: سمات وخصائص القيادة الإبداعية عند الرسول ﷺ:[1]

السيرة النبوية يمكن أن تقرأ قراءات عديدة، فيمكن أن نقرأها قراءة عسكرية في حنكته عليه الصلاة والسلام في الغزوات التي قادها، ويمكن أن نقرأها قراءة إدارية قيادية من خلال أفعاله وتفاعله في المواقف المختلفة مع أصحابه في تسيير أمور الدولة الإسلامية التي بناها عليه الصلاة السلام، وكذلك يمكن قرأتها قراءات عديدة أخرى بأشكال ورؤى مختلفة. ونحن هنا نركز علي الجانب القيادي الإبداعي في حياته ﷺ من خلال استعراض بعض المواقف من سيرته العطرة وبعض الحوادث فيها والتي تبين وتوضح عدداً من السمات والخصائص النبوية التي تمثلت في شخصه عليه أفضل السلام وأزكى التسليم.

لابد لنجاح القيادة السياسية من سمات وخصائص يجب توفرها نختصرها كما يلي[2]

استيعاب هذه القيادة لدعوتها وثقتها بها وبأحقيتها، وثقتها بانتصارها، وعدم تناقض سلوك هذه القيادة مع ما تدعو إليه. قدرة القيادة على الاستمرار بالدعوة تبليغاً وإقناعاً. قدرة القيادة في استيعاب المستجيبين للدعوة تربية وتنظيماً وتسييراً. وجود الثقة الكاملة بين القيادة وأتباعها.

قدرة القيادة على التعرف على إمكانية الأتباع وأن تستطيع الاستفادة من كل إمكاناتهم العقلية والجسمية أثناء الحركة. قدرة القيادة على حل المشاكل الطارئة بأقل قدر ممكن من الجهد. أن تكون هذه القيادة بعيدة النظر مستوعبة للواقع. قدرة هذه

---

(١) ملامح نبوية في القيادة الإبداعية- منتديات السبورة- مجلة المعلم- د. سلطان بخاري.. مكة المكرمة- مجلة المعرفة- العدد ١٥٩ عن الموقع http : //www. almualem. net
أصل المقال ورقة عمل للكاتب بعنوان «سمات وخصائص القيادة الإبداعية في بيئة متغيرة عند الرسول عليه الصلاة والسلام» مقدمة للجمعية السعودية للإدارة، الملتقى الإداري الثالث: إدارة التغيير ومتطلبات التطوير في العمل الإداري نحو إدارة فاعلة، ١٤٢٧هـ.

(٢) www.khayma.com/madina/m٣-files/mhmad.Htm المرجع الأساس: الرسول عليْه الصلاة والسَّلام- القيادة السياسية العليا، سعيد حوى، دار السلام ١٢٢- ١٢٤.

القيادة على الوصول إلى النصر والاستفادة منه. قدرة هذه القيادة أن تحكم أمر بناء دولتها إحكاماً يجعلها قادرة على الصمود والنمو على المدى البعيد.

وما عرف التاريخ إنساناً كمل في هذه الجوانب كلها إلى أعلى درجات الكمال غير محمد ﷺ مع ملاحظة أن كمالاته هنا جانب من جوانب كمالاته المتعددة التي لا يحيط بها غير خالقها. ولنستعرض جوانب سيرة رسول الله، تلك الجوانب العملية لنرى براهين ذلك:

المطلب الأول: استيعابه ﷺ لدعوته نظرياً وعملياً وثقته بها وبانتصارها[1]

لقد كان الرسول ﷺ واضحاً تماماً في أن منطلق دعوته هو أن الحاكم الحقيقي للبشر لا يجوز أن يكون غير الله. وأن خضوع البشر لغير سلطان الله شرك، وأن التغيير الأساسي الذي ينبغي أن يتم في العالم هو نقل البشر من خضوع بعضهم لبعض إلى خضوع الكل لله الواحد الأحد.

والأمثلة كثيرة ولكني سوف اختار لكم منها:

طالب المشركين رسول الله ﷺ أكثر من مرة أن يطرد المستضعفين من المسلمين حتى يجلسوا إليه، وفي كل مرة كان يتنزل قرآن ويكون موقف رسول الله ﷺ الرفض، ومن هذه ما أخرجه أبو نعيم عن ابن مسعود قال: من الملأ (أي السادة) من قريش على رسول الله وعنده صهيب وبلال وخباب وعمار ﷺ ونحوهم وناس من ضعفاء المسلمين فقالوا (أي الملأ مخاطبين رسول الله): أرضيت بهؤلاء من قومك؟ أفنحن نكون تبعاً لهؤلاء الذين منَّ الله عليهم؟ اطردهم عنك فلعلك إن طردتهم اتبعناك قال: فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2] أخرجه أحمد والطبراني. وبذلك

---

(١) المرجع الأساس: الرسول عليْه الصلاة والسَّلام- القيادة السياسية العليا، سعيد حوى، دار السلام ١٢٢-١٢٤.

(٢) في تفسير الآيتين- سورة الأنعام آية ٥٢ - انظر القرطبي في تفسير هاتين الآيتين.

يكفيك أن تعلم أن الناس يعتبرون العمل السياسي الإسلامي عملاً مثالياً لا يستطيعه أي إنسان فإذا ما عرفنا بعد ذلك أن الرسول -عليه الصلاة والسلام- استطاع أن يقود الناس بهذا الإسلام. فلا نجد موقفاً من مواقفه تناقض مع نصوص ومبادئ دعوته، وعلمت أنه ما من زعيم سياسي إلا ويضطر للتناقض، إما لاحقا مع سابق أو دعوى مع عمل أو داخلياً مع خارجي، أدركت مدى الكمال في القيادة المحمدية، وخاصة إذا عرفت أنه لم يستطيع أن يرتفع من حكّام الأمة الإسلامية إلى القيادة بالإسلام الكامل بحق، إلا أفراد منهم الخلفاء الراشدون الأربعة، أما رسول الله ﷺ فقد ساس الناس بالإسلام ولم يترل بالإسلام إلى مستوى الناس، بل رفع الناس إلى مستواه على وتيرة واحدة ونسق واحد في الفكر والعمل.

المطلب الثاني: استطاعته ﷺ الاستمرار بدعوته تبليغاً وإقناعاً[1]

هناك شيئان أساسيان يجب أن يتفطّن لها قادة الحركات السياسية الفكرية الجديدة:

أ) الحرص على استمرار عملية التبليغ والإقناع.

ب) البصر الحكيم بالموقف الذي يتخذ من الخصم.

➢ **الأمر الأول**: إن أي دعوة من الدعوات إذا لم تستطع تأمين عملية استمرار التبليغ والإقناع تجمد ثم تنحصر ثم تموت. وأي دعوة من الدعوات لا تتخذ الموقف المناسب من الخصم تضرب ضربة ساحقة ثم تزول. عندما ندرس هذين الجانبين في العمل عند رسول الله ﷺ نجد أنه ﷺ قد نجح فيهما. فرغم تألب الجزيرة العربية كلها عليه، ورغم العداء العنيف الذي ووجه به، ورغم كل شيء فإن عملية التبليغ لم تنقطع لحظة من اللحظات[2].

➢ **أما للأمر الثاني**، فأنت تلاحظ حكمة مواقفه تجاه العدو، فهو في مكة يصبر ويأمر أتباعه بالصبر، ولم يأمر بقتالهم، ولو فعل ذلك لخسر أتباعه قتلاً، ولشغل بذلك في قضايا الثأر، ولما أمكنه أن يتابع عملية التبليغ. فكسب بهذه الخطة كثيراً فإذا ما انتقل إلى

---

(١) المرجع الأساس: الرسول عليْه الصلاة والسَّلام- القيادة السياسية العليا، سعيد حوى، دار السلام ١٢٤-١٢٦.

(٢) انظر صحيح البخاري، باب ذكر ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين في مكة (٣٨٥٦).

المدينة رأيت تجدد مواقفه على حسب الظروف الجديدة من معاهدة إلى سلام إلى حرب إلى ضربة هنا ووثبة هناك. ولكن هذا كله لم يؤثر بتاتاً على عملية تبليغ الحق وإقناع الناس به على كل مستوى وبكل وسيلة ملائمة[1].

وخلاصة القول: لا توجد حركة سياسية تقوم على أساس عقدي نجحت كما نجحت دعوة رسول الله ﷺ وفي فترة قصيرة، وهذا يدلنا على أن الأمر أكبر من أن يكون -لولا التوفيق الإلهي- لهذا الرسول الأعظم الفذ على مدى التاريخ بين الرجال.

المطلب الثالث: قدرته ﷺ على استيعاب أتباعه تربية وتنظيماً وتسييراً ورعاية[2]

أن الدعوة العقدية السياسية تصاب من قبل أتباعها بسبب قيادتها من نواح ثلاث:

أ) ألا تقدر هذه الدعوة على أن تربي أتباعها تربية نموذجية بحيث يعطي أتباعها صورة حسنة عنها، مما يؤدي إلى نفور الناس منها كأثر عن نفورهم من أصحابها، فيكون التابع حجة على الدعوة بدلاً من أن يكون حجة لها. وعلى العكس من ذلك إذا ما ربي أفرادها تربية نموذجية حية فإن الناس يؤمنون بهم قبل إيمانهم بدعوتهم، ويحبونهم قبل أن يعرفوا ما يدينون به، وكم رجال ضربوا دعوتهم بسلوكهم مع أنهم يحملون دعوة عظيمة.

ب) أن يدخل الدعوة ناس ولا تستطيع هذه الدعوة أن تسخر طاقاتهم في سبيلها. وأمثال هؤلاء يكونون في وضع مشلول فلا هم ضد الدعوة ولا هم يقدمون شيئاً لها.

ج) عندما لا يحس الأتباع بالرعاية الدائمة، والملاحظة التامة، وعندما لا يوضعون فيما يحس وضعهم به، أو عندما يحسون بأنهم منسيون، أو عندما لا يعرف الإنسان محله ومهمته بها، كل هذا يؤثر على نفسية الأتباع ويولد عندهم فتوراً هذه النواحي الثلاث لابد من تلافيها لأي دعوة تقوم على أساس مبدأ معين وعدم تلافيها يعطل سير الدعوة ويقتلها. ومن دراستنا لحياة النبي ﷺ نجد أنه يتجنبها وتجد ما يقابلها بشكل لا مثيل له

---

(١) الرحيق المختوم ص٩٣-١٠٠.

(٢) الرسول عليْه الصلاة والسَّلام- القيادة السياسية العليا، سعيد حوى، دار السلام- ص١٢٦- ١٢٩ انظر السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني- المكتبة الشاملة- الفصل الثاني والثالث shamelh. ws.

بحيث لا تستغرب بعد كيف انتصرت هذه الدعوة وهذه الجماعة وكيف توسعت على مر الأيام. فنرى:

- **في الجانب الأول:** تربية الرسول ﷺ وكيف أن الأمة الإسلامية كلها قد وُسعت تربية.
- **في الجانب الثاني:** ترى الحركية الدائمة التي كان يجعل أصحابه دائماً يعيشونها.
- **في الجانب الثالث:** ترى دقة الرسول ﷺ في الرعاية والعناية والسهر على شؤون الأتباع بشكل عجيب، ولعل هذا الجانب أحق بالتمثيل:

أخرج ابن إسحاق عن أم سلمة أنها قالت: لما ضاقت مكة وأوذي أصحاب رسول الله وفتنوا ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم وأن رسول الله لا يستطيع دفع ذلك عنهم، وكان رسول الله في منعة من قومه ومن عمه، لا يصل إليه شيء مما يكره، ومما ينال أصحابه. فقال لهم رسول الله: «إن بأرض الحبشة ملكاً لا يظلم أحد عنده فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه»[1].

وقد وجههم مرتين إلى الحبشة. مرة في السنة الخامسة، ومرة في السنة السابعة. حيث كان المسلمون مقدمين على أعظم مراحل الاضطهاد مرحلة المقاطعة الشاملة.

والأمثلة كثيرة وفيها دلالة على مبلغ دقة الرسول ﷺ في توجيه أصحابه بالشكل الذي يحمون فيه ويأمنون، وكيف أنه لا ينسى أحد منهم بل يستوعبهم جميعاً برعايته، وكيف يعدهم للحظة المناسبة، وكيف يسيّر كل واحد منهم بحكمة تناسب وضعه.

المطلب الرابع: الثقة التي كان يتمتع بها ﷺ عند أتباعه[2]

للثقة بين الناس وقائدهم أهمية عظيمة جداً عند أصحاب الفكر السياسي، لذلك ترى في أنظمة الحكم الديمقراطية أن الحكومة تبقى حاكمة ما دامت متمتعة بثقة شعبها التي تعرفها ببعض الوسائل، وهذا حال الناس الذين يثقون بحكوماتهم ومتعاونين معها

---

(١) انظر البداية والنهاية- الجزء الثالث- باب هجرة أصحاب رسول الله ﷺ من مكة إلى الحبشة/ انظر المستدرك على الصحيحين (٤٣٠١) نسخة محفوظة على الموقع waybackmachine.

(٢) المرجع السابق ص ١٢٩- ١٣١.

فإنهم يستطيعون بالتالي أن يسدوا النواقص. أما إذا فقدت الثقة فقد تلاشى كل شيء وفقدت الأمة قوتها ويضعف روحها المعنوية ويضرب اقتصادها وبالتالي يهوي بها.

لذلك كان من أهم عوامل القائد السياسي لأمة ثقة الأمة به ومحبتها له، فإن هذا إذا وجد يعوض كل النواقص وكل الفراغات فإذا ما وضح هذا بشكل عام نقول: أن تاريخ العالم كله لا يعرف مثلاً واحداً يشبه ما كانت عليه ثقة أتباع الرسول ﷺ به. إن ثقة الناس بالقائد الرسول كانت ثقة غير متناهية يكفي لإدراكها أن ترى بعضاً من مواقف الصحابة في أدق وأصعب وأحوج الأحوال:

- قال أبو الهيثم بن التيهان[1]: يا رسول الله وإن بيننا وبين الناس حبالاً (أي أحلافاً وعهوداً) فلعلنا نقطعها ثم ترجع إلى قومك وقد قطعنا الحبال وحاربنا الناس. فضحك رسول الله ﷺ من قوله وقال: «الدم الدم، الهدم الهدم»، وفي رواية: «بل الدم الدم والهدم الهدم». أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم. ثم أقبل أبو الهيثم على قومه فقال: يا قوم هذا رسول الله ﷺ أشهد أنه لصادق وأنه اليوم في حرم الله وأمنه وبين ظهري قومه وعشيرته، فاعلموا أنه إن تخرجوه رمتكم العرب عن قوس واحدة، فإن كانت طابت أنفسكم بالقتال في سبيل الله وذهاب الأموال والأولاد فادعوه إلى أرضكم فإنه رسول الله حقاً، وإن خفتم خذلاناً فمن الآن. فقالوا عند ذلك: قبلنا عن الله وعن رسوله ما أعطيانا، وقد أعطينا من أنفسنا الذي سألتنا يا رسول الله، فخل بيننا يا أبا الهيثم وبين رسول الله فلنبايعه، فقال أبو الهيثم: أنا أول من بايع. الأمثلة كثيرة وكلها تشعر الإنسان بمقدار الثقة التي كانت تملأ قلوب هذا الرعيل الأول مع معرفتهم بما سيترتب على هذه البيعة من آثار مخيفة. والحقيقة أن شخصية الرسول ﷺ كانت من الأسر والقوة والنفاذ بحيث لا يملك من يخالطها إلا أن يذوب فيها، إلا إذا كانت شخصية معقدة، ولعل في قصة مولاه زيد بن حارثة ما يؤكد هذا المعنى. إذا يأتي أبو زيد

---

(١) رواه ابن هشام في السيرة والإمام أحمد في مسنده والطبراني في معجمه- انظر الموسوعة الشاملة- كتاب تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري- جمال الدين عبد الله بن شرف بن محمد الزيلعي- دار النشر دار ابن خزيمة- الرياض ١٤١٤هـ الطبعة الأولى ١/٥٩.

وأعمامه ليشتروه ويرجعوا به إلى أهله حراً ولكن زيداً يختار صحبة محمد مع العبودية والغربة، على فراقه مع الحرية ولقاء الأهل. وهذه ظاهرة عجيبة أن يصارح زيد أهله بهذا، وهو ليس صغير السن بل كان وقتذاك ناضج الفكر فكافأه محمد ﷺ (كان ذلك قبل النبوة)[1] أن حرره وتبناه.

المطلب الخامس: استطاعة القائد الاستفادة من كل إمكانيات الأتباع العقلية والجسمية أثناء الحركة، مع المعرفة الدقيقة بإمكانية كل منهم ووضعه في محله[2]

إن عبقرية القيادة لا تظهر في شيء ظهورها في معرفة الرجال، ووضع كل في محله، واستخراج طاقات العقول بالشورى، واستخلاص الرأي الصحيح. وفي كل من هذين كان الرسول ﷺ الأسوة العليا للبشر.

إن الشورى في فن السياسة عملية تستجمع فيها طاقات العقول كلها لاستخلاص الرأي الصالح، ويتحمل فيها كل فرد مسؤولية القرار النهائي، ويقتنع فيها كل فرد بالنتيجة. فيندفع نحو المراد بقوة وترتفع بها ملكات الفرد وروح الجماعة. ويبقى الإنسان فيها على صلة بمشاكل أمته وجماعته، ولذلك جعل الله أمر المسلمين شورى بينهم، حتى يتحمل كل فرد من المسلمين المسؤولية كاملة ولا يبقى مسلم مهملاً.

والظاهرة التي نراها في حياة الرسول ﷺ كقائد. حبه للشورى وحرصه عليها ومحاولته توسيع دائرتها واستخلاصه الرأي الأخير في النهاية: قبيل غزوة بدر استشار الناس فأشار المهاجرون، فلم يكتف ثم استشار الناس فأشار الخزرج والأوس، ثم اتخذ قراره الأخير حتى يمحو أي تردد عن أي نفس. وقبيل يوم أحد استشار الناس وأخذ برأي الأكثرية. ويوم الأحزاب أخذ برأي سلمان الفارسي. ويوم الحديبية أشارت عليه أم سلمة زوجته فأخذ برأيها[3].

---

(١) انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة- زيد ابن حارثة- الطبقات الكبرى لابن سعد- الحب زيد ابن حارثة.

(٢) الرسول عليْه الصلاة والسَّلام- القيادة السياسية العليا، سعيد حوى، دار السلام- ص١٣٢- ١٣٥.

(٣) نور اليقين- مرجع سابق- ١٠٧- وحتى ١٧٩.

أنها القيادة التي لا تستكبر أن تنزل على رأي مسلم كائناً من كان، ما دام الرأي سليماً صحيحاً. والقيادة الصالحة هي التي تعمم الشورى حتى لا يبقى أحد عنده رأي إلا قاله وخاصة فيما يكون فيه غرم.

أما معرفة الرجال ووضع كل في محله المناسب له وتكليفه بالمهمة التي يصلح لها، فكذلك لا يلحق برسول الله ﷺ أحد فيها.

إن أبا بكر وعمر كانا في زمن رسول الله ﷺ يلقبهما الصحابة بالوزيرين له، وكان يسمر معهما في قضايا المسلمين، ولما مرض ﷺ أمر أبا بكر أن يصلي بالناس(١) وهذا الذي جعل المسلمين يختارونه بعده خليفة، ثم كان عمر الخليفة الثاني، والناس يعرفون ماذا فعل أبو بكر وعمر يوم حكما الناس، فهل يشك أحد أن تركيز الرسول ﷺ على هاتين الشخصيتين كان في محله، وأنهما من الكفاءة في المحل الأعلى، وأن رأي رسول الله ﷺ فيهما في محله. وهذان مثلان فقط وإلا فما اختار رسول الله ﷺ رجلاً إلا ورأيت الحكمة في هذا الاختيار.

المطلب السادس: قدرته الكاملة ﷺ على حل المشاكل الطارئة(٢):

إن انهيار الدعوات والتنظيمات السياسية عادة ما يكون بسبب مشكلة طارئة لا تستطيع القيادة أن تحلها حلاً موفقاً، مما يؤدي إلى انقسام أصحابها أو ضربها والقضاء عليها. فكلما كانت القيادة أقدر على حل المشاكل كان وقد يحدث أن بعض القيادات تحل المشاكل حلاً غير مشروع، فتستعمل القوة مع أتباعها، فتبيد المعارضين أو تسجنهم كما نرى كثيراً من هذا في عصرنا الحاضر. إلا أن الظاهرة التي لا مثيل لها في تاريخ القيادات العالمية أنك تجد عند رسول الله ﷺ قدرة لا مثيل لها على حل المشاكل بكل بساطة، هذا مع سلوك الطريق الألطف مع الأتباع. والذي عرف العرب عن كثب يدرك كفاءة هذه القيادة التي استطاعت أن تشق الطريق بأقل قدر ممكن من المتاعب.

أنه لا توجد أمة في العالم أكثر مشكلات من الأمة العربية، فالعوامل النفسية التي تثير المشاكل كثيرة جداً، فكلمة قد تثير حرباً، وجرح كرامة قد يؤدي إلى ويلات،

---

(١) نور اليقين- مرجع سابق ص ٢٥٠.

(٢) المرجع السابق ص١٣٥- ١٤٢ بتصرف.

ونظام للثارات وشعور بالولاء وعواطف متأججة وعصبية عارمة وجرأة نادرة وقسوة وصلابة وعدم انضباط، وكل واحدة من هذه تحتاج إلى قيادة تتمتع بكفاءة منقطعة النظير، وكان رسول الله ﷺ القائد الذي استطاع أن يدير أمر هذا الشعب القوي المراس ويحل كل مشاكله بكل بساطة.

وأبرز الأمثلة حله لمشكلة وضع الحجر الأسود قبل النبوة[1] حين هدمت قريش الكعبة وأعادت بناءه في رواية ابن إسحاق للحادث قال: ثم أن القبائل جمعت الحجارة لبنائها كل قبيلة تجمع على حدة ثم بنوها حتى بلغ البناء موضع الركن فاختصموا فيه كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى حتى تجاوزوا وتحالفوا وأعدوا للقتال فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دماً ثم تعاقدوا هم وبنو عدي بن كعب بن لؤي على الموت وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة، فسموا لعقة الدم. فمكثت قريش على ذلك أربع ليال أو خمساً ثم إنهم اجتمعوا في المسجد وتشاوروا وتناصفوا فزعم (إذ يروي أن المشير على قريش مهشم بن المغيرة، ويكنى أبا حذيفة) بعض أهل الرواية: أن أبا أمية بن المغيرة عبد الله بن عمر بن مخزوم وكان عامئذ أسن قريش كلها، قال: يا معشر قريش، اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه ففعلوا. فكان أول داخل عليهم رسول الله ﷺ فلما رأوه قالوا: هذا الأمين، رضينا، هذا محمد. فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر، قال ﷺ هلمّ إليّ ثوباً، فأتي به، فأخذ الركن فوضعه فيه بيده ثم قال: لنأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوا جميعاً ففعلوا. حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده ثم بني عليه[2].

والنماذج كثيرة كلها تبين كيف كان رسول الله ﷺ يحل المشكلات اليومية بسرعة عجيبة فلا يبقى لها أي أثر. هذه الإمكانية العجيبة في حل المشكلات جعلت رجلاً كبرناردشو الأديب الإنكليزي المشهور يقول: ما أحوج العالم إلى رجل كمحمد يحل مشاكله وهو يشرب فنجاناً من القهوة (أي ببساطة)!!ا. لك أضمن لنجاح الدعوة. ومن

(١) الرحيق المختوم- مرجع سابق ص٥٣ - نور اليقين ص ١٩.

(٢) صور من حياة الرسول- ص٨٣- انظر رواية ابن اسحق للحادث/ البداية والنهاية.

قرأ كتب الحديث رأى كثرة المشكلات اليومية والفردية والجماعية التي كانت تعترض رسول الله ﷺ وهو يسوس شعباً من أعصى شعوب العالم انقياداً وطاعة وسياسة، ومع هذا فما عرف أن مشكلة مرت عليه إلا وحلها بسهولة كاملة واستقامة مع منهج الحق الذي يدعو إليه والذي يمثل أرقى صور الواقعية والمثالية بآن واحد، وما كان ذلك ليكون لولا توفيق الله ورعايته.

المطلب السابع: بعد نظرة ﷺ وضرباته السياسية الموفقة[1]:

إن الدارس لتصرفات رسول الله يجد أنه لا يوجد تصرف إلا وفيه غاية الحكمة وبعد النظر. فمثلاً يرسل كسرى إلى عاملة على اليمين (باذان) أن يهيج رسول الله، وأن يقبض على رسول الله ليرسله إلى كسرى، فيرسل باذان رجلين ليقبضا على رسول الله ويأتيا به إلى كسرى ويأمر باذان أحد الرجلين أن يدرس أحوال رسول الله، فلما وصل الرجلان أبقاهم الرسول عنده خمسة عشر يوماً دون رد عليهم وقُتل كسرى في اليوم الخامس عشر فأنبأهم -عليه السلام- بقتل كسرى يوم مقتله وأهدى أحد الرجلين منطقة فيها ذهب وفضة وأرسل إلى باذان رسالة مضمونها أنه إن أسلم أعطاه ما تحت يده وكان من آثار هذا كله أن خلع باذان ولاءه لكسرى وأسلم معلناً ولاءه لمحمد ﷺ[2].

إن الأمثلة كثيرة جداً ولكن يبقى أن تدرك الأفق العالي الذي كان ينظر منه -عليه السلام- وتدرك أن قيادته جزء من صلته بالله المحيط علماً بكل شيء فكان مسدداً راشداً مهدياً.

---

(١) الرسول عليْه الصلاة والسَّلام- القيادة السياسية العليا، سعيد حوى، دار السلام- ص١٤٣- ١٥٠.

(٢) انظر البداية والنهاية- الجزء الرابع بعثه إلى كسرى ملك الفرس- انظر الرحيق المختوم ص٣٤٠-٣٤١ / فتح الباري ١٢٧/٨- محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية للخضري ١٤٧/١/ فتح الباري ١٢٧/٨- ١٢٨.

المطلبين الثامن والتاسع: قدرة هذه القيادة على الوصول إلى النصر والاستفادة منه و٩ - قدرة هذه القيادة أن تحكم أمر بناء دولتها إحكاماً يجعلها قادرة على الصمود والنمو على المدى البعيد:

الوصول إلى النصر وتطبيق ما كان العمل من أجله بعد النصر وإحكام البناء بحيث يكون قادراً على الصمود في المستقبل ووضع أسس النمو الدائب المتطور بحيث تحتفظ الدعوة بإمكاناتها. لقد مضى على بدء الإسلام أربعة عشر قرناً، ولا زال الإسلام في انتشار، ولا زال يتوسع، رغم كل ما تبذله الدعايات الكافرة من أعدائه، سواء كانوا أصحاب دين أو غير أصحاب دين بطرق منظمة وغير منظمة، فلا زال الإسلام هو الإسلام ولا زال قادراً على الحركة. ورغم الملابسات التاريخية التي أوقعت العالم الإسلامي في قبضة أعدائه، ورغم سيطرة الأعداء فالإسلام باق. ورغم أن الكافرين استطاعوا أن يهيؤا لأعداء الإسلام وسائل الانتصار داخل العالم الإسلامي فالإسلام شامخ يتحدى ويقهر.

وخلال هذا التاريخ الطويل سقطت دول تحكم باسم الإسلام وقامت دول تحمل الإسلام واستوعب الإسلام الجميع. وفي كل مرة كان الإسلام محمولاً حق الحمل كان أصحابه هم الغالبين وحضارته أرقى الحضارات وما ذلّ المسلمون إلا من تقصيرهم وتفريطهم وجهلهم بالإسلام[1].

القرون الوسطى عند الأوروبيون قمة التأخر والقرون الوسطى عندنا قمة التقدم وكانوا يومها متمسكين بدينهم وكنا لا زلنا متمسكين بديننا ومن هنا مفرق الطريق، حيث كان الإسلام حمل أتباعه على التقدم وحيث كان غير الإسلام ديناً كان تأخر. وهذا هو الإسلام يصارع الآن على كل مستوى شرقاً وغرباً فكراً وسلوكاً وهو في كل حال أبداً غالب وأن اضطهد المسلمون فذلك لقوة فكرهم لا لشيء آخر.

وما أحد يجهل أن روح الجهاد في قلوب المسلمين هي التي حررت العالم الإسلامي من قبضة مستعمريه في عصرنا هذا. لقد استطاع الإسلام أن يفعل هذا لأن الأساس

(١) الرسول عليْه الصلاة والسَّلام - القيادة السياسية العليا، سعيد حوى، دار السلام - ص١٤٣.

الذي بناه رسول الله ﷺ له خلال ثلاثة وعشرين عاماً كان من القوة بحيث يحمل كل العصور ويسع كل العصور. انية السير عبر العصور: أن الظاهرة التي نراها في حياة رسول الله ﷺ أنه خلال عشر سنوات فقط كان كل جزء من أجزاء دعوته قائماً يمشي على الأرض على أكمل ما يكون التطبيق، وكل جزء من أجزاء دعوته قابلاً للتطبيق خلال كل عصر، وما مر عصر إلا ورأيت الإسلام مطبقاً بشكل من الأشكال. فإذا ما عملت بأن دعوة سياسية فكرية تحتاج إلى عشرات السنين حتى تنتشر وتنتصر وقد تطبق وقد لا تطبق أدركت أن العملية هنا ليست عملية عادية وإنما هي شيء خارق للعادة تحس وراءه يد الله. وتحس بالتالي أن الدين دين الله وأن محمداً عبده ورسوله[1].

ومن السمات الإبداعية للنبي محمد ﷺ:

أولاً: فتح باب الحوار:

قال ابن إسحاق: وحدثني أبي إسحاق بن يسار، قال: كان ركانة بن يزيد بن هشام ابن عبد المطلب بن عبد مناف اشد قريش، فخلا يوماً برسول الله ﷺ في بعض شعاب مكة، فقال له رسول الله ﷺ: «يا ركانة، ألا تتقي الله وتقبل ما أدعوك إليه»؟ قال: إني لو ألم أن الذي تقول حق لأتبعتك، فقال: له رسول الله ﷺ: «أفرأيت إن صرعتك، أتعلم أن ما أقول حق»؟ قال: نعم، قال: «فقم حتى أصارعك». قال: فقام إليه ركانة يصارعه، فلما بطش به رسول الله ﷺ أضجعه، وهو لا يملك من نفسه شيئاً، ثم قال: عد يا محمد، فعاد فصرعه، فقال: يا محمد والله أن هذا للعجب أتصرعني؟ فقال رسول الله ﷺ: «وأعجب من ذلك إن شئت أن أريكه أن أتقيت الله وأتبعت أمري»، قال ما هو؟ قال: «أدعو لك هذه الشجرة التي ترى فتأتيني»، قال: ادعها فدعاها، فأقبلت حتى وقفت بين يدي رسول الله ﷺ قال: فقال لها ارجعي إلي مكانك قال: فرجعت»[2].

---

(١) الرسول عليْه الصلاة والسَّلام- القيادة السياسية العليا، سعيد حوى، دار السلام- ص١٥٠-١٥٢ بتصرف.

(٢) البداية والنهاية- الجزء الثالث- قصة مصارعة ركانة ص ٢٥٥- وكيف أراه ﷺ الشجرة التي دعاها فأقبلت- أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (١/١/٨٢/٢٢١) وأبو داوود (٤٠٧٨). انظر m. wikisource. org.

ثانياً: القيادة بالحب:

في غزوة بدر كان النبي صلى الله عليه وسلم يعدل صفوف أصحابه وفي يده قدح يعدل به القوم، فمر بسواد بن غزية حليف بني عدي بن النجار، وهو مستتل -متقدم- من الصف، فطعن في بطنه بالقدح وقال: استو يا سواد، فقال: أوجعتني يا رسول الله وقد بعثك الله بالحق والعدل، قال: فأقدني، فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه، وقال: استقد، قال: فاعتنقه فقبَّل بطنه، فقال: ما حملك على هذا يا سواد؟ قال: يا رسول الله حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمسَّ جلدي جلدك. فدعا له رسول الله ﷺ بخير(١).

ثالثاً: المشاركة العملية:

عتاد بعض القادة أن يكون دورهم قاصراً على إعطاء الأوامر ومراقبة التنفيذ، وهو مسلك مخالف لمنهج القائد الأول ﷺ، الذي كان يعيش مع أصحابه ويشاركهم أعمالهم وهمومهم.

أ- فشاركهم في بناء المسجد: فقد شارك ﷺ أصحابه في بناء المسجد؛ عن أنس بن مالك ﷺ قال قدم النبي ﷺ المدينة فنزل أعلى المدينة في حي يقال لهم بنو عمرو بن عوف، فأقام النبي ﷺ فيهم أربع عشرة ليلة وجعلوا ينقلون الصخر وهم يرتجزون والنبي ﷺ معهم وهو يقول: «اللهم لا خير إلا خير الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة»(٢).

ب- وشاركهم ﷺ في حفر الخندق: فعن سهل بن سعد الساعدي ﷺ قال: كنا مع رسول الله ﷺ في الخندق وهو يحفر ونحن ننقل التراب ويمر بنا فقال: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة» [رواه البخاري (٦٤١٤)].

ج- وشاركهم ﷺ في الجهاد: قال عن نفسه ﷺ: «ولولا أن أشق على أمتي ما قعدت خلف سرية»(٣).

---

(١) طريقه أبو نعيم في معرفة الصحابة (ق١/٣٠٣) وابن الأثير في أسد الغابة في معرفة الصحابة (٢/ ٣٣٢) أخرجه ابن اسحق في السيرة (٢/٢٦٦ سيرة ابن هشام) ومن طريقه.

(٢) أخرجه أحمد (٣/١٢٩)- وأخرجه البخاري (٣٧٩٥ و٣٧٩٦) ومسلم (٥/١٨٨).

(٣) فضل الجهاد والخروج في سبيل الله رقم الحديث (١٨٧٦) صحيح مسلم - كتاب الأمارة.

وهي مشاركة لا تلغي دورهم وتحولهم إلى مجرد آلات صماء، بل هي تدفع للتوازن بين هذا وبين تعويدهم على العمل والمشاركة.

إن مجرد إصدار الأوامر والتوجيه أمر يجيده الجميع، لكن الدخول مع الناس في الميدان ومشاركتهم يرفع قيمة القائد لديهم ويعلي شأنه ويشعرون أنه واحد منهم، وذلك أيضاً يدفعهم لمزيد من البذل والهمة والحماس، عكس أولئك الذين يدعون للعمل والقائد بعيد عنهم، وقد عبَّر عن هذا المعنى ذاك الحداء الذي كان يردده أصحاب النبي ﷺ:

لـــئن قعـــدنا والـــنبي يعمـــل لـــذاك منـــا العمـــل المـــضلل

ثم إنه يشيع روح الود والإخاء، ويسهم في بناء علاقة إنسانية وطيدة بين القائد ومن يعملون معه.

رابعاً - الثبات علي الحق:

لما عاتبت قريش أبا طالب في شأن الرسول ﷺ، ووصل الأمر إلى المفاصلة في ذلك بهلاك أحد الطرفين، عظم الأمر على أبي طالب وكلم النبي ﷺ في ترك دعوته، فأجابه الرسول ﷺ قائلاً: «يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته[1]». سلسلة الأحاديث الصحيحة ١٢٢٤.

خامساً - الرشد والعقلانية في التعامل مع الأزمات:

من مواقف النبي ﷺالقيادية الرائعة الرشيدة: انه حصلت فتنة بين رجل من الأنصار وأجير لعمر بن الخطاب، وذلك في غزوة بني المصطلق، فاستنصر الأنصاري بالأنصار، وأستنصر الأجير بالمهاجرين وكادت تقع حرب ضروس أراد أن يشعلها ابن أبي بن سلول رأس المنافقين، فقام وقد استغل الموقف وعنده زيد بن أرقم غلام بالغ يقول أو قد فعلوها؟ قد كاثرونا ونافرونا في بلادنا ما مثلنا معهم إلا كما قال الأول "سمِّنك يأكلك" والله لئن رجعنا إلي المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فنقل ابن الأرقم مقالة ابن أبي ابن سلول لرسول الله ﷺ فقال عمر: مر به يا رسول الله من يقتله، فقال السيد الحكيم"

(١) في الكبير وأبو يعلى في مسنده. رواه البخاري في التاريخ والطبراني.

فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه" ولكنه اكتفى بأن أمر بالرحيل، فرحل الرسول بالجيش في وقت لم يكن يرحل فيه وسار بهم يومهم ذلك حتى أمسى وليلهم حتى أصبح، وسار يومهم التالي حتى آذتهم الشمس وأعياهم الجهد ونال منهم التعب ثم نزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض حتى وقعوا نياماً[1].

سادساً - حسن المخالطة والمعايشة مع المرؤوسين:

(روى البخاري في صحيحه عن أنس ﷺ قال: " إن كان النبي ﷺ ليخالطنا حتى يقول لأخ لي صغير: يا أبي عمير.. ما فعل النغير»؟[2].

سابعاً: إحياء روح الأمل عند المرؤوسين:

فعندما ضاقت الأمور واشتد الأذى جاء خباب بن الأرت ينادي المصطفى ﷺ قائلاً: «ألا تدعو لنا؟ ألا تستنصر لنا؟» فذكّره الرسول الكريم ﷺ بمن كان قبلهم ممن عذبوا عذاباً شديداً إذ قال له: «كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون» (البخاري٣٦١٢).

ثامناً: المعرفة الدقيقة بقدرات المرؤوسين:

إن من أسرار العظمة والإبداع التي تمتع بها رسول الله ﷺ معرفته بقدرات مرؤوسيه الدقيقة فقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «أرأف أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في دين الله عمر، وأصدقهم حياءً عثمان، وأقضاهم علي، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأقرؤهم أبي، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، ألا وإن لكل أمة أميناً وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح» (سلسلة الأحاديث الصحيحة ١٢٢٤).

---

(١) انظر نور اليقين ص ١٤٥-١٤٦ / وانظر تهذيب سيرة ابن هشام الجزء القاني ص١٦-١٧ في فتنة الأنصاري وأجير عمر بن الخطاب- صحيح البخاري ص١١٨٧.

(٢) صحيح البخاري- كتاب الأدب (٥٧٧٨).

تاسعاً: معرفة مكامن التفوق وحسن توظيفها:

وكان الرسول ﷺ يعرف مكامن التفوق لدى صحابته ويوظفها التوظيف الحسن كل حسب قدراته وطاقاته. كما حصل مع حسَّان بن ثابت: «اللهم أيّده بروح القدس» (البخاري ٦١٥٢). سيرة ابن هشام الجزء الثاني ص ٦٤.

وقال عمرو بن العاص: "ما عدل بي رسول الله ﷺ وبخالد بن الوليد أحداً من أصحابه في حربه منذ أسلمنا" سيرة ابن هشام الجزء الثالث ص١٦٨[١].

عاشراً: تربية وإعداد قادة المستقبل:

ولقد كان ﷺ قائداً مبدعاً. فها هو يهتم بإعداد قادة المستقبل وهو أمر عادة لا يقوم به إلا القليل النادر من القادة إن لم نقل ينعدم ذلك في أغلب الأوقات، (كما أمر أبا بكر بالصلاة بالناس حين مرضه ﷺ وأصر على ذلك)[٢]. (وكما أمره على موسم الحج في العام التاسع[٣].

أحد عشر: تطييب القلوب:

وقد كان رسولُ الله يفعلُ هذا ويحرص عليه، فإنه عليه الصلاة والسلام ما أن يلاحظ تذمُّراً أو عدم رضىً من شعبه لموقف من المواقف أو تصرف من التصرفات حتى يسرع لبيانه وتطييب قلوب الشعب.

انظر تصرفه يوم دخل سعد بن عبادة -في الجعرانة- على رسول الله فقال: يا رسول الله إن هذا الحيّ من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت، قسمت في قومك -يريد أهل مكة- وأعطيت عطايا عظاماً في قبائل العرب، و لم يكُ في هذا الحيّ من الأنصار منها شيئاً، قال: فأين أنت من ذلك يا سعد؟

---

(١) انظر البداية والنهاية- الجزء الرابع- حياة الصحابة (٨٨/٢).

(٢) نور اليقين ص٢٥٠ - وأمره على موسم الحج نور اليقين ص٢٣٣.

(٣) ملامح نبوية في القيادة الإبداعية- منتديات السبورة- مجلة المعلم- د. سلطان بخاري. مكة المكرمة- مجلة المعرفة- العدد ١٥٩ عن الموقع www.http://almualem.net.

قال: يا رسول الله، ما أنا إلاّ من قومي، قال: فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة... فأتاهم رسول الله فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: «يا معشر الأنصار، ما قالةً بلغتني عنكم، وجدةً وجدتموها عليّ في أنفسكم، ألم آتكم ضُلاّلاً فهداكُم اللهُ، وعالةً فأغناكُم اللهُ، وأعداءً فألّف بين قلوبكم؟». قالوا: بلى يا رسول الله، واللهُ ورسولُه أمنّ وأفضل. قال: «ألا تجيبوني يا معشر الأنصار»؟ قالوا: بماذا نجيبُك يا رسول الله، لله ولرسوله المنُّ والفضلُ. قال: «أما والله لو شئتم لقلتم، فلصدقتُم ولصدّقتم: أتيناك مكذّباً فصدَّقناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريداً فآويناك، وعائلاً فآسيناك. أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم على لعاعة من الدنيا تألّفتُ بها قوماً ليُسلموا، ووكلتُكُم إلى إسلامكم؟ ألا ترضونَ يا معشر الأنصار أن يذهبَ الناسُ بالشاة والبعير، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم، فوالذي نفسُ محمدٍ بيده لولا الهجرةُ لكنت امرءاً من الأنصار، ولو سلك النّاس شعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار، اللهم ارحمِ الأنصار وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار» [البخاري، ٤٣٣٠[(١)]].

اثني عشر: التأكيد على الاستقرار الداخلي:

كلّ دولةٍ لا يتهيأ لها الأمنُ والاستقرارُ الداخلي تبقى في اضطراب دائم يمنعها من بناء ذاتها، ويُضعفها عن الوقوف في وجه عدوّها. ولذلك كان رسول الله صلوات الله عليه حريصاً على هذا الاستقرار الداخلي في دولة الإسلام، وقد توجّه رسولُ الله إلى إيجاد هذا الاستقرار في المدينة المنورة بعد أن وطئتها قدماه، فعقد فيها معاهدةً مع اليهود تضمنُ هذا الاستقرارَ، لأن اليهود يمكن أن يكونوا مصدر إزعاجٍ للدولة، وقد جاء في هذه المعاهدة: "أن اليهود أمةٌ مع المؤمنين، لليهود دينُهم، وللمسلمين دينُهم، مواليهم وأنفسهم، إلاّ من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ - أي: يهلك- إلاّ نفسه وأهله[(٢)] . ومن خلال هذا تفرغ النبي ﷺ إلى تدعيم أركان الدولة الحديثة العهد بالحياة محيداً شعب الفتنة والغدر.

---

(١) انظر ابن هشام ٢/٤٩٩-٥٠٠/ انظر الرحيق المختوم ص٤٠٧ .

(٢) انظر ابن هشام (١/٥٠٣- ٥٠٤)- الرحيق المختوم ١٨١.

ثلاثة عشر: معرفة خصائص ومزايا القيادات المنافسة:

كان رسول الله حريصاً على معرفة خصائص ومزايا الشخصيات القيادية المنافسة، وكان هذا يساعدهُ كثيراً في اختيار التصرف الأمثل تجاه كل شخصية من خذه الشخصيات. ففي صلح الحديبية قدم علي رسول الله موفد من قريش "مكرز بن حفص"، فلما رآه رسول الله عليه الصلاة والتسليم مقبلا قال: هذا رجل غادر، ثم أقبل عليه "الحُليس بن عَلقمة" فلما رآه رسول الله مقبلا قال: إن هذا من قوم يتألّهون - أي يعظمون لله - ثم أقبل عليه "سهيل بن عمرو" فلما رآه الرسول مقبلاً قال: قد أراد القوم الصُّلح حين بعثوا هذا الرجل[1]:

مصادر ومراجع البحث:

- http://www.almalem.net/mag/a١٠٣٧.html

- ليلى حسن عبد الله قرشي، القيادة الإبداعية والمناخ التنظيمي بالجامعات السعودية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم الإدارة التربوية والتخطيط، ١٤٢٤/١٤٢٥هـ. - سيرة ابن هشام، المكتبة التوفيقية، القاهرة، جمهورية مصر العربية، د.ت، الجزء١-٤. - صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ. - تهذيب سيرة ابن هشام - عبد السلام هارون ج٢. -صور من حياة الرسول - أمين دويدار - دار المعارف ط٤ - نور اليقين في سيرة سيد المرسلين- الشيخ محمد الخضري بك - تحقيق عبد الله الفقير، ط١ - ١٣٩٨هـ-١٩٦٩م - نسخة منقحة - ط٢ - دار الإيمان - دمشق سورية - الرحيق المختوم - بحث في السيرة النبوية - الشيخ صفي الدين المباركفوري- مؤسسة الرسالة ناشرون - الطبعة الأولى - ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م.

(١) د. سلطان سعيد مقصود بخاري - مكة المكرمة- مجلة المعرفة- العدد ١٥٩ ملامح نبوية في القيادة الإبداعية - انظر تهذيب سيرة ابن هشام ج٢ - ص٢٩- نور اليقين ٢٧٢- ٢٧٣.

المبحث الخامس- منهج القيادة النبوية[1]

سيرة رسول الله ﷺ حياة رحبة من الفضائل والمكارم، وعالم واسع من الدروس والعبر التي لا تستغني عنها البشرية في كل عصر وجيل، ومن تلك الأبعاد منهجيته في القيادة.

لرسول الله ﷺ منهجية عظيمة في القيادة، يحتاجها كل قائد في أي موقع من مواقع القيادة. فالأب قائد في الأسرة، ورب العمل يقود الموظفين، وكذلك الزعيم في جماعة، والحاكم في شعب، كل هؤلاء وغيرهم ينبغي أن يستفيدوا من سيرة رسول الله ﷺ في القيادة. فكيف كان يمارس ﷺ القيادة في أمته ومجتمعه؟

كل قائد في أي موقع يريد ممن حوله الطاعة، والانسجام والتآلف معه، ولكن كيف يكون ذلك؟ هناك منهجان بارزان وهما منهج الفرض، ومنهج الإقناع والجذب.

إذا أخذنا الأب مثلاً كقائد في أسرته، فإنه يريد من أفراد أسرته أن يطيعوه، وأن يكونوا في سيرهم كما يرغب ويراه صالحاً. ولكن كيف يحقق الأب هذا الأمر في أسرته؟

إما أن يختار منهج الفرض باعتباره في موقع القوة فيفرض طاعته والالتزام بمنهجه، أو أن يتخذ منهج الجذب والإقناع ويكون قادراً على تحفيزهم وحثهم على ما يريد، وهكذا الحال في كل مجال من مجالات القيادة.

منهج اللين والجذب في القيادة النبوية:

وهو النهج الرباني الصحيح فكيف تعامل رسول الله ﷺ مع المعارضين؟ قال الله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران آية ١٥٩]. وباستقراء تاريخ رسول الله ﷺ يتضح جلياً أنه اختار النهج الآخر، وهو نهج الجذب والإقناع، نهج اللطف واللين، وذلك بتوجيه من الله تعالى، لكي يعطي الدرس لكل قائد وخاصة من يكون في موقع قيادة الأمة، وموقع الحكم والسلطة،

---

(١) مكتب الشيخ حسن الصفار - تحرير: أديب أبو المكارم منهج القيادة النبوية:
http://www.Saffar.org

عليه أن لا يعتمد على القدرة والقوة في ممارسة سلطته، بمقدار ما يعتمد على الجذب والترغيب: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ كان رسول الله ﷺ ليّناً في تعامله، فكانت له محبة عند الناس وهيمنة على نفوسهم، ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ حينما يكون القائد فظاً أي خشن الكلام، وقاس في عباراته وألفاظه، أو غليظ القلب يعني شديد القسوة في تعامله، فإن ذلك ينفّر الناس منه. كان رسول الله ﷺ يواجه أعداءً خارج دائرة الإسلام كاليهود والمشركين، وهناك أعداء داخل دائرة الإسلام، كانوا يسيئون التعامل مع النبي ﷺ ويسعون للإضرار بمصالح الإسلام والأمة وهم المنافقون الذين تحدث عنهم القرآن الكريم في كثير من آياته، وفيه سورة كاملة باسمهم وهي سورة (المنافقون)[1].

فكيف تعامل ﷺ مع هؤلاء وهم على باطل؟

لقد أذن الله تعالى لنبيه أن يتعامل مع المنافقين تعاملاً قاسياً حتى يردعهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [التحريم آية ٩] جاءت هذه الآية مرتين بنفس النص في سورتي التوبة والتحريم، ولكن الأمر في الآية لم يكن إلزامياً، فالأمر بيد رسول الله، ﷺ فاختار ﷺ أن يتعامل معهم باللين لا بالخشونة والقسوة بالرغم من كثير مما كان يعاني منهم، فلم يرو لنا التاريخ حادثة واحدة أن رسول الله ﷺ قتل أحدهم، أو سجنه، أو عذبه، أو طرده، بل كان لهم مجال المشاركة في صلاة الجماعة مع المسلمين، وفي الحروب والغزوات، ويأخذون نصيبهم من غنائم الحرب، ولكن لماذا؟ لأن رسول الله ﷺ كان يدرك أن منهج الجذب واللين والعطف هو المنهج الصحيح، وهو المنهج الرباني الرحيم.

---

(١) المنافقون أناس يعيشون مع المسلمين ظاهرهم الانتماء إلى الدين الإسلامي، والولاء لرسول الله ﷺ، ولكنا باطنهم المعادة للإسلام وللنبي ﷺ، وما كانوا قلة، كان منهم من هو سطحي في نفاقه وهم من أهل البادية، ومنهم من تمرن وتمرس على النفاق وهم من سكان المدينة. يقول تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ ﴾ [التوبة آية ١٠١].

أولاً: من أجل الحفاظ على وحدة المجتمع وعلى وحدة الأمة:

فحينما يستخدم القمع والقوة ضد أحد في المجتمع فان ذلك يوسع الشق بين الناس في المجتمع وهناك من سيتعاطف مع هذا المقموع سواء كان على حق أو على باطل. وقد أشار رسول الله ﷺ إلى هذا الجانب حينما اقترح عليه عمر بن الخطاب قتل أحد المنافقين، وذلك عندما عاد المسلمون من غزوة بني المصطلق وبسبب خلاف بين مهاجري وأنصاري صار عبد الله بن أبي يؤلب على رسول الله ﷺ وتحدى أن يخرجه من المدينة: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ [المنفقون ٨] ساد الغضب المسلمين وجاء عمر يقول لرسول الله ﷺ: دعني اضرب عنق هذا المنافق. ولكن رسول الله ﷺ فض، فقال عمر: إن كرهت أن يقتله مهاجري فأمر أنصارياً أن يقتله. فقال رسول الله ﷺ «إذاً ترعد له أنوف كثيرة بيثرب». هذا الرجل وإن كان على باطل لكن هناك من سيتعاطف معه، وهناك من سيدافع عنه، وقد تحدث القرآن الكريم عن وجود بعض المسلمين ممن لم يفهموا حقيقة المنافقين ﴿فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ [النساء آية ٨٨] فلو استخدم العنف مع المعارضين لحصلت انشقاقات في المجتمع الإسلامي الوليد[1].

ثانياً: لحفظ سمعة الإسلام والدعوة:

وذلك يتبين من قول رسول الله ﷺ لبعض الصحابة حينما أشاروا عليه بقتل أحد المنافقين قال ﷺ: «دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه»[2]. لو استخدم رسول الله العنف لعمق الخلاف بين المسلمين، وأعطى فرصة للكفار، ومن ناحية أخرى يعطي صورة مشوهة عن الإسلام. ولذا اختار طريق الاستيعاب والسماحة استجابة لله تعالى: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران آية ١٥٩]. إنه درس عظيم ومنهج حكيم، يحتاج إليه الأب في عائلته، والزعيم في جماعته، والحاكم في شعبه. وما نسمعه الآن على المستوى العالمي من رفض لاستخدام العنف والقوة مع الناس إنما يؤكد سلامة وصحة هذا المنهج الذي سلكه رسول الله ﷺ.

---

(١) انظر نور اليقين- طبعة ثانية منقحة- ص١٤٦- ١٤٧.

(٢) المرجع السابق ص ١٤٦.

المبحث السادس- تعلم مهارات القيادة من الرسول ﷺ[1]

الإدارة.. هي فن قيادة الآخرين، فالإنسان يتشكل من مجموعة من العواطف والمشاعر، لذا فهو بحاجة إلى مرونة كاملة في التعامل معه، لذا فالواجب على الإدارة أن تكون مرنة، وعلى المدير الناجح أن يلاحظ ذلك جيداً.. ولنا في حياة الرسول ﷺ الأسوة الحسنة في كل نواحي الحياة على وجه الخصوص في قيادة الآخرين على الأسس السليمة التي رسخها الإسلام، وفي الرفق والتعاون حيث يقول الله - عز وجل- في كتابه الكريم: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾ [المائدة الآية ٢].

ولقد رسخ الرسول الكريم ﷺ أسس ومبادئ الإدارة وفن قيادة الآخرين من خلال مواقفه مع أصحابه، فكل موقف كان يرسخ مبدأً جديداً في كيفية إنجاز الأعمال بنجاح وتميز دون إهدار حقوق الغير، ودون التقليل من المهام الموكولة للآخرين، بل يصبح تقسيم العمل والتعاون والاستماع للآخرين من الصفات التي ينبغي أن نتحلى بها في تعاملنا نحن في أعمالنا.

وقد كان لرسول الله ﷺ أكبر الأثر في توجيه صحابته وتحفيزهم على العمل بكفاءة، وبذلك فنجده ﷺ قد وضع هذه الأسس قبل أن نكتب فيها بأربعة عشر قرناً فمن أولى هذه المبادئ:

١ - مهارة تحفيز وتشجيع فريق العمل[2]:

يصف الواقدي تحركات الرسول ﷺ بجيشه نحو حُنين حيث ينقل قول رسول الله ﷺ لأصحابه: «ألا فارس يحرسنا الليلة؟» إذ أقبل أنيس بن أبي مرثد الغنوي على فرسه فقال: أنا ذا يا رسول الله، فقال ﷺ: «انطلق حتى تقف على جبل كذا وكذا فلا تنزلن إلا مصلياً أو قاضي حاجة، ولا تغرن من خلفك».

---

(١) تعلم مهارات القيادة من الرسول ﷺ http://www. nmisr.com.

(٢) انظر الرسول المدير- صور من الإدارة النبوية للنبي محمد ﷺ كما ذكر محمد أحمد عبد الجواد في كتابه (أسرار التميز الإداري والمهاري في حياة الرسول ﷺ).

قال: فبتنا حتى أضاء الفجر وحضرنا الصلاة فخرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «أأحسستم فارسكم الليلة»؟[1].

قلنا لا والله، فأقيمت الصلاة فصلى بنا، فلما سلّم رأيت رسول الله ﷺ ينظر خلال الشجر، فقال: «أبشروا جاء فارسكم» وعندئذ جاء (أي الفارس) وقال: يا رسول الله إني وقفت على الجبل كما أمرتني فلم أنزل عن فرسي إلا مصلياً أو قاضي حاجة حتى أصبحت، فلم أحس أحداً قال رسول الله ﷺ: «انطلق فانزل عن فرسك وأقبل علينا، فقال: ما عليه أن يعمل بعد هذا عملاً[2]».

كان من منهج النبي ﷺ في الأداء أنه كان دائما ما يعمد إلى التخيير وبث روح المنافسة بين فريق عمله.. «ألا فارس يحرسنا الليلة؟».

كما أنه استقبل حديث "أنيس" وهو يتحدث عن دوره وإجادته في تنفيذه بنفس طيبة" قال: يا رسول الله إني وقفت على الجبل كما أمرتني فلم أنزل عن فرسي إلا مصلياً أو قاضي حاجة حتى أصبحت فلم أحس أحداً[3].

فلم يتهمه النبي ﷺ وهو يعرض موقفه بنقص في إخلاصه لاسيما وأنه يدلي بهذا الحديث أمام جمع من صحابته - رضوان الله عليهم -، ثم يبادر النبي بتشجيعه وتحفيزه: «ما عليه أن يعمل بعد هذا عملاً».

وفي هذا الثناء والتشجيع والإشادة بالموقف.. ما يدعو كل مشرف أو مدير إلى استنفاذ طاقة فريقه وتفانيهم في العمل، كما أن الرسول أتقن فن التحفيز والتشجيع من خلال الأوصاف المتميزة على صحابته، فأبو بكر الصديق وعمر الفاروق رضي الله عنهما كما ذكر محمد أحمد عبد الجواد في كتابه "أسرار التميز الإداري والمهـــاري في حياة الرسول".

---

(١) انظر صحيح السنة النبوية- الأحاديث الصحيحة في فضل الحراسة في سبيل الله رقم الحديث ١١٧ / Hadith. Islam beacon. Com.

(٢) أي عملت عملاً يوجب الجنة (عون المعبود ج٥/ ص٣٩٤)- أي لا ضرر ولا جناح عليك في ترك العمل بعد هذه الحراسة لأنها تكفيك لدخول الجنة- انظر الصحيحة ٣٧٣ وفقه السيرة ص٣٨٨ والإرواء ٣٧١ .Hadith. Islam beacon- com .

(٣) انظر صحابة رسول الله- أنس ابن أبي مرثد البغوي www. Sahaba. ras٠٠١٠na.

٢ - مهارة بناء العلاقات مع الآخرين:

والتعامل مع الناس إذا كانت الإدارة الناجحة في حقيقتها.. هي فن إدارة الآخرين لتحقيق هدف معين؛ فإن مناط نجاحها هو التعامل الأمثل مع هؤلاء البشر الذين يراد بهم تحقيق هذا الهدف. ومن ثم تصبح من المسلمات لكل من يتولى مهمة الإدارة أو يتصدى لقيادة الآخرين أن يجيد هذا الفن، حيث إنه سيواجه أصنافاً من البشر تختلف عن بعضها في الأمزجة والميول والمشارب والاتجاهات، وإذا تأملنا هذه الصفة في سيد الأنبياء ﷺ وجدناها جلية واضحة..

يقول الإمام البخاري - رحمه الله- : فدخل رسول الله ﷺ على خديجة رضي الله عنها فقال: «زملوني.. زملوني» فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: «لقد خشيت على نفسي»، فقالت خديجة: "كلا والله لا يخزيك الله أبداً.. إنك لتصل الرحم، وتحمل الكلّ، وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق.."[1].

لننظر في هذه الصفات ولنتأمل فيما قالته السيدة خديجة رضي الله عنها عن رسول الله، ولكي ندرك أكثر هذه المهارة ونتعامل بها؛ فإن هنا بعض المنطلقات التي ينبغي الإيمان بها حتى تكون حركتنا في هذا المجال راشدة ومهدفة:

* في بناء العلاقات لابد من معاملة كل فرد على أنه مهم - وهو بالفعل كذلك- فلا يوجد إنسان بلا قيمة، وأنت لا تعرف من ستحتاج إليه غداً، كما أن العالم صغير حقيقة لا مجازاً، وستدهش عندما تكتشف أن كثيرين ممن تعرفهم سيتقلدون مناصب مهمة لم تكن تتوقعها.

* في مجال التعامل مع الآخرين ينبغي أن ننتبه إلى أن أنهم ليسوا نمطاً واحداً، وفي نفس الوقت مطلوب منا أن نتعامل معهم جميعاً، ومن ثم كان علينا أن نعرف الجهد في تنمية مهارات التعامل معهم بأنماطهم المختلفة، وليس الحكم عليهم وتقييمهم؛ لأننا لن نعدم أن نجد بعض نقاط التميز حتى في الشخصيات التي نختلف معها.

---

(١) صحيح البخاري- كتاب بدء الوحي- الجزء الأول- ص٢٥٦١ - حديث٦٥٨١/ وانظر نور اليقين ص٣٠ والرحيق المختوم ص٥٨.

وفي حديث السيدة خديجة جعلت من صفات الرسول شخصية مجمعة؛ فهو يحمل الكلّ، ويكسب المعدوم، وفي هاتين الصفتين إشارة إلى ما ينبغي أن يتمتع به من يدير الآخرين تجاههم من عاطفة جياشة تجعله يسعى إلى خدمتهم والسهر على راحتهم والمسارعة في بذل الخير لهم، وهو ﷺ يقري الضيف؛ لذا لابد للمدير الناجح أن يكون دائما كريماً وجواداً يحسن استقبال ضيفه.

٣ - مهارة التفويض الفعال(١):

وتوزيع المسؤوليات: إن الأكتاف القوية لا تنمو إلا بالتدريب، والمساعدون الأكفاء لا يولدون من فراغ والمؤسسات القوية هي التي تحسن إدارة عملية تفويض المسؤوليات والاختصاصات، ولا تعتمد على مستوى إداري واحد تحسن إعداده فحسب؛ وإنما تبني كل منطلقاتها وحركتها على إدارة عملية التفويض، حتى لا يمر في أية مرحلة من مراحله بمنعطفات أو بمشكلات تنبع من عدم وجود المستوى المؤهل لتناول القيادة من سابقه، كما أن نجاح المدير أو المشرف يكمن في إدراكه لهذا الأمر في مؤسسته أو إدارته.

ولقد أدرك الرسول ﷺ أهمية هذا الأمر، ومن ثم: أوجد النبي ﷺ لكل طاقة ما يناسبها من عمل، ووزع المسؤوليات، وفرض المهام ومنح أجزاء متساوية من المسؤولية والسلطة لأصحابه ﷺ؛ ففي عهده ﷺ تولى علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان كتابة الوحي، كما كان يقوم بذلك أيضاً أثناء غيابهما أبي بن كعب، وزيد بن ثابت وكان الزبير بن العوام وجيهم بن الصلت يقومان بكتابة أموال الصدقات، وكان حذيفة بن اليمان يعد تقديرات الدخل من النخيل، وكان المغيرة بن شعبة والحسن ابن نمر يكتبان الميزانيات والمعاملات بين الناس.

وفي هذا إشارة إلى أصحاب المسؤوليات في تفويض المهام، وأن يعهد ببعض مهامه إلى أحد معاونيه، ويعطيه سلطة اتخاذ القرارات اللازمة للنهوض بهذه المهمة على وجه مرض.

ومما لاشك فيه أن النبي ﷺ، إذا أدى هذه الأدوار ؛ فإنه سيكون أسرع وأفضل، ولكن على المدى القصير وسيتحمل أكثر من طاقته، ويغرق في كثير من التفاصيل

---

(١) تعلم مهارات القيادة من الرسول ﷺ - http: www. misr. com- وانظر الرسول المدير - صور من الإدارة النبوية- حكيم الدين سالم- bloghakimuddinsalim- موقع hikmata. Blogspot. com

الروتينية وتصبح المسؤولية عبئاط ثقيلاً[1].

ومن ثم أدرك الرسول ﷺ أن قدرته على تحقيق النتائج ترتبط ارتباطا وثيقاً بأداء أصحابه، وقد ظهر تفويض السلطة في عهد الخلفاء الراشدين حينما كان سيدنا عمر بن الخطاب يطلق الحرية لعماله في الشؤون الوظيفية ويقيدهم في المسائل العامة، أي يفوضهم بعضا من السلطات ويراقب عملهم في حدود ذلك التفويض، وكان يختبر موظفيه بين الحين والآخر ليتأكد من كفاءتهم وقدرتهم، ويبدو ذلك جلياً في موقفه مع (كعب بن سور الأزدي) حينما كان جالساً عند عمر فجاءته امرأة تشكو زوجها فقال لكعب اقض "اذهب قاضياً على البصرة": فلما قضى قضاءه قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لكعب[2]: لهذا أعجب إلي من الأول (والله ما رأيك الأول بأعجب من رأيك الآخر، اذهب فانتقاض على أهل البصرة) فرحله بداية وبعثه قاضياً لأهل البصرة.

وهنا لا ينبغي لأي مشرف أن ينظر إلى التفويض على أنه تهرب من المسؤولية؛ لأنه المسؤول في النهاية عن نتائج إدارته، ومن ثم فهو يفوض طريقة العمل ولا يفوض المسؤولية. كما أن التفويض ليس تخلصا من المهام غير الممتعة، بأن يعهد بها المدير إلى أحد مرؤوسيه؛ إنما ينبغي أن ننظر إلى التفويض على أنه إيجاد البدائل القادرة على القيام بالمهام المثلى في المستقبل مستصحبة في أدائها الفعال ما سبق له من تجربة ناضجة في أدائه[3].

(١) انظر الحضارة العربية الإسلامية - شوقي أو خليل- منشورات كلية الدعوة الإسلامية ١٩٨٧ - ط١ - ص١٣٢ -١٣٣.

(٢) الباحث والكاتب حامد الطاهر. https://m.facebook.com- انظر الإصابة في تمييز الصحابة- القسم الثاني من حرف الكاف رقم ٧٤٩٨/ www.alemman.com.

(٣) نجوم مصرية https: //www. nmisr. com/vb/showthread. php?t=٤٢٦٦٦٥.

المبحث السابع: دروس في القيادة مستوحاة من حياة النبي محمد ﷺ[1]

على مر العصور ظل المؤرخون المسلمون وغير المسلمين يؤلفون كتبا عديدة حول الرسول محمد ﷺ كقائد، مع التركيز على صفات شخصيته المهداة بهدي الإله، شخصية خاتم الأنبياء، وهذا حسب المعتقدات الإسلامية. لكن، برزت في القرن الماضي مدرسة حديثة عقلية للفكر الإسلامي تدرس شخصية الرسول محمد ﷺ كقائد ذي هيبة وتأثير كبيرين، وليس فقط كرسول من الله.

من رواد هذه المدرسة السيد سيد أحمد خان وشبلي النعماني في الهند، والشيخ محمد عبده ورشيد رضا في العالم العربي، وسعوا مع غيرهم من العقليين للتقليص من الطبيعة المعجزة لسيرة الرسول ﷺ وتعويض ذلك بالتركيز على الأبعاد العقلية والإنسانية لشخصيته. كما تقوم تأويلاتهم على مجالات الفكر الحديثة، فيتحدثون عن الرسول محمد ﷺ كرجل دولة ورجل أعمال، وكقائد سياسي، ثم كمرشد روحي.

ومن الممكن إدراج كتاب العالم البريطاني المتخصص في مجال التدبير "قيادة محمد" ضمن هذه المدرسة الفكرية مع انه ليس مسلما حديثا. كما أن طرح ادير يختلف عن طرح أغلب كُتاب السيرة المسلمين في بعض الأساليب[2].

أولها أن ادير يركز على سياق المبادئ الأخلاقية المجردة وذلك مع تسليط الضوء على الخصال القيادية. كما أن سرده غني بحوارات الممارسات القبلية والعادات والتقاليد الثقافية التي شكلت المحيط والثقافة التي اشتغل بها النبي محمد ﷺ. وإذا كان هدف

---

(١) الدكتور مقتدر خان: site.udel.edu/muqtedar- ١. ا: دروس في القيادة مستوحاة من حياة النبي محمد ﷺ- الدكتور مقتدر خان- وهو أستاذ مساعد في شعبة العلوم السياسية والعلاقات الدولية الإسلامية في جامعة ديلاور- قام بكتابة العديد من الكتب من بينها (المسلمون الأمريكيون ومنقشة الإسلام المعتدل)- الجغرافيا السياسية للإسلام والغرب (٢٠٠٧) موقعه www.ijthad.org.

(٢) كتاب قيادة محمد ﷺ لجون أدير (by j.hn adair)- دار المنظومة- دراسة نقدية وتخريج لأحاديثه المحقق أ. د. سعيد ابن صالح النقيب- ترجمة رامي نحلاوي- www.Alukah.net.

ادير بيان أن أسلوب القيادة يجب أن يوافق السياق الثقافي الذي يطبق فيه، فقد نجح في ذلك بامتياز. فيسرد واقعة تلو واقعة، موضحا أن فهم الرسول ﷺ للقواعد السلوكية القبلية للجزيرة العربية مكنته من أن يصبح قائداً ملهماً ومسيراً فعالاً.

ثانيهاً أن أسلوب ادایر السردي "إبراهيمي" جداً، فهو يرجع إلى المبادئ الإنجيلية وأقوال الأنبياء بينما يقوم بشرح القرارات التي اتخذها الرسول محمد ﷺ، كما أنه حين يناقش كلمة راع، وكيف أنها مجاز مناسب تماما لفهم القيادة، يستحضر أوجه التشابه بين الأنبياء محمد وموسى وداود (عليهم السلام) والذين كانوا جميعهم رعاة للغنم. وأخيراً فإن ادایر ركز بالخصوص على الرسول محمد ﷺ كقائد، بخلاف الكتاب الآخرين، فهو لا يصب اهتمامه حول تعظيم الإسلام وتعاليمه وهذا مكنه من أن يتفرد بهذا الخوض العميق في أغوار تلك الخصال التي ميزت شخصية الرسول محمد ﷺ وذلك السياق الثقافي الذي ميز زمانه والذي يساعد على توضيح صفاته القيادية.

وقد استعمل ادایر مجازات مثل "لراعي" ونعوت مثل "متواضع" و"شجاع" لوصف تصوره للقائد، فالراعي الجيد يرشد غنمه ويوحدها ويعمل على توفير الراحة لها دون أن يجز صوفها، كما أنه يهتم بكل واحد منها على حدة، وقد رأى ادایر في الرسول محمد ﷺ كل صفات الراعي الجيد، فهو لم يكن فقط يهتم براحة كل فرد من أفراد جماعته، بل كان مصمماً على هدفه لحماية مهمته ككل.

وبأسلوب مشوق يقدم الكتاب عدة درر حول الحكمة التي يجب أن تكون أساساً للقيادة، وكيف يمكن تطويرها وفهمها. كما أنه أيضاً كتاب سلس الأسلوب عن الرسول محمد ﷺ يروي قصة رجل مميز جداً، رجل كان في نفس الوقت قائداً تجارياً وسلطة سياسية وناشطاً جماعياً ومقاولاً اجتماعياً ومصدراً إلهياً ونموذجاً إنسانياً.

ويعتقد ادایر أن على القادة أن يتقدموا الصف وأن يكونوا مثالاً يقتدى، ولذلك عليهم تجنب الغرور ونبذ الإهانة، كما عليهم أن يتصفوا بالصدق وأن يكونوا على استعداد للمشاركة بأي عمل صعب مع الأتباع، بالإضافة إلى ذلك عليهم أن يوفروا الرؤية والتوجيه لضمان نجاح النظام. ولهذا فكل من رغب في قراءة هذا الكتاب للاطلاع على مفهوم القيادة المعقد لن يرجع خائباً.

ومن الواضح أن لادایر وجهات نظر قوية حول ماهية القيادة وكيف يجب أن يتم تطويرها وتوظيفها في شتى مضارب الحياة، فهو يؤمن بفضائل القيادة وقيمها. والنجاح في نظر ادایر عائد للقيادة، فمحمد الرسول ﷺ الذي حول الجزيرة العربية ومعظم العالم من خلال تعاليمه وعبره، لم يكن ليحقق ذلك النجاح دون أن يكون قائداً جيداً. وهذه هي الفكرة المضمنة التي ينطوي عليها محتوى الكتاب.

انطلاقاً من هذه الفكرة المضمنة فقد قام ادایر بسبر أغوار حياة رسول الله محمد ﷺ، وذلك ليسلط الضوء على اللحظات والأحداث التي تتجلى من خلالها صفاته الخارقة كقائد، وفطنته التي مكنته من الاستغلال الصحيح لهذه الخصال. ومن بين هذه الأحداث ما روي حول لقاء الرسول محمد ﷺ بأحد صحابته وذلك في غضون رسمه لتشكيلة جيش المسلمين قبل معركة بدراً لتي كانت فتحاً عسكرياً مبكراً للدين الجديد:

عندما كان رسول الله محمد ﷺ ينظم صفوف المجاهدين ممسكاً قدحاً في يده رأى اعوجاجاً في الصف وذلك لأن الصحابي سواد بن عزيّة كان يقف خارجه، فجاء النبي ﷺ ونغز سواداً فيبطنه وقال: «استو يا سواد»، فقال سواد: أوجعتني يا رسول الله، وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدني من نفسك! فابتسم النبي ﷺ وكشف عن بطنه الشريفة وقال: «اقتص يا سواد». فانكب سواد على بطن النبي يقبلها. يقول: هذا ما أردت وقال: يا رسول الله أظن[1] أن هذا اليوم يوم شهادة فأحببت أن يكون آخر العهد بك أن تمس جلدي جلدك، فدعا له النبي ﷺ بخير. وهذا مثال للجنود الذين لن تخسر معهم معركة[2].

وفي سياق آخر يستعرض ادایر الأحداث التي تصور الحب والتقدير اللذين أمطر

---

(١) أخرجه ابن اسحق في السيرة (٢/٢٦٦ سيرة ابن هشام) ومن طريقه أبو نعيم في معرفة الصحابة (ق١/٣٠٣) وابن الأثير في أسد الغابة في معرفة الصحابة (٢/٣٣٢) ورد سابقاً القيادة بالحب ص٤١١. ١٥ May،٢٠١٢ Comment Muqtedar Khan .

(٢) الدكتور مقتدر خان: دروس في القيادة مستوحاة من حياة النبي محمد ﷺ:
site. udel. edu / muqtedar
Published ٠٥/١٠/٢٠١٠ in Arabic Knowledge@Wharton
Published ٠٥/١٠/٢٠١٠ in Arabic Knowledge@Wharton

بهما الصحابة رسول الله ﷺ ويقال: "يمكن أن يتم تعيينك مشرفاً أو مسيراً، لكنك لن تصبح قائداً إلا إذا صدق تعيينك قلوب وعقول من تقودهم".

وكتاب اداير ليس بدراسة علمية أو منهجية للموضوع، وإنما هو كتاب صغير يشير إلى القرارات النبوية، فعدد صفحاته المائة والسبعة عشر تجعله كتاباً مختصراً يمكن قراءته في رحلة عمل واحدة. وهو كتاب جيد يوصى بقراءته، إلا أنه يلاحظ على الكاتب فشله في الاكتشاف والإشارة إلى أن النبي محمد ﷺ كان يقدر رأي ونصيحة المرأة مهما بلغت جدية القرارات. وتجسد إحدى قصص الرسول ﷺ هذه الصفة:

بعد أن وافق الرسول محمد ﷺعلى شروط صلح الحديبية التي نصتها قريش، غضب الصحابة لأن شروط المعاهدة كانت لصالح العدو، فرفضوا طاعته حين أمرهم بالذبح وإتمام مناسك الحج، فغضب الرسول ﷺ، ودخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت: يا رسول الله أتحب ذلك؟ اخرج، ثم لا تكلم أحداً كلمة حتى تنحر بُدْنَكَ، وتدعو حالقك فيحلقك. فقام الرسول ﷺ وخرج فلم يكلم أحداً حتى نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأى الناس ذلك قاموا فنحروا إبلهم[1]، وجعل بعضهم يحلق لبعض. وهكذا اجتنب قيام أية ثورة.

في الوقت الذي يملئ فيه المحيط العام بالمنشورات التي تدعم ما يجعل الناس يخافون من الإسلام وتجعل من رسول الله ﷺ غرضاً للرسومات التي تقلل من شأنه ومن شأن الإيمان بالدين الإسلامي، تأتي هذه الدرة النفيسة التي يدور محورها حول دروس القيادة المستقاة من حياته ﷺ لتريح البال وتهدئ النفس[2].

---

(١) فتح الباري ٥/٢٤٣- ٥٣ - صحيح البخاري- الشروط (٣٨٥٢).

(٢) site. udel. edu / muqtedar الدكتور مقتدر خان: دروس في القيادة مستوحاة من حياة النبي محمد ﷺ الدكتور مقتدر خان: وهو أستاذ مساعد في شعبة العلوم السياسية والعلاقات الدولية الإسلامية في جامعة ديلاور، وهو عضو في معهد الأسلوب والتفاهم الاجتماعي. كما أنه قام بكتابة العديد من الكتب من بينها "المسلمون الأمريكيون: الوصل بين الإيمان والحرية" (٢٠٠٢) و"مناقشة الإسلام المعتدل: الجغرافيا السياسية للإسلام والغرب" (٢٠٠٧). موقعه الإلكتروني www.ijtihad.org.

المبحث الثامن- القيادة النوعية والمدرسة القيادية النبوية[1]

النبي ﷺ والقيادة النوعية- ما هي القيادة النوعية؟ عناصر القيادة النوعية (وتسمّى القيادة التحويلية).

أولاً: التأثير المثالي:

الكاريزما الجاذبية الشخصية التي يتمتع بها القائد. تقوم الكاريزما على صفات خلقية وصفات خُلقية. فالقائد بسلوكه قدوة للأتباع فهو يستحوذ على إعجابهم واحترامهم وثقتهم. وكون القائد مستحوذاً على قلوب أتباعه فهم يسعون إلى الاقتداء به، كما يراه الأتباع متمتعاً بقدرات مميزة وبالعزيمة. يتميز القائد النوعي بالإقدام وحس المخاطرة والثبات والاستقرار في سلوكه وأدائه وعدم التأرجح والتذبذب في أسلوبه القيادي. فالقائد يمكن الاعتماد عليه في القيام بما ينبغي إضافة إلى تمتعه بأكرم الأخلاق وأسمى القيم.

وهذا العنصر لا يخفى في حياة النبي ﷺ، فقد كان يأخذ بالألباب خَلْقاً وخُلُقاً. والجاذبية الشخصية كما يقول علماء القيادة فطرية ومكتسبة، وقد حاز النبي ﷺ السبق في كليهما. ومما يُذكر في هذا المقام قول عبد الله بن سلام لما رأى النبي ﷺ وقد وصل لتوه إلى المدينة مهاجراً. فلما رآه عبد الله بن سلام قال: فلما رأيته. علمت أن وجهه ليس بوجه كذاب[2].

ثانياً: شحذ الهمم:

من خلال خلق رؤية عليا وإذكاء روح التحدي يسعى القائد النوعي إلى شحذ همم من حوله إضافة إلى إحياء روح الفريق الواحد بينهم. هذا الذي يؤدي إلى أن تسود روح التفاؤل والإصرار. يصحب القائد النوعي من حوله في صناعة رؤية مستقبلية

---

(١) راشدون للتطوير القيادي ١٨ أيار ٢٠١٢ المصادر: صحيح مسلم- سيرة ابن إسحاق- القيادة النوعية (التحويلية): باس وريجيو (٢٠٠٦). انظر بحث القيادة التحويلية ص ١٦٨- ١٦٩.

(٢) سير أعلام النبلاء- الصحابة رضوان الله عليهم- محمد ابن أحمد بن عثمان- مؤسسة الرسالة- سنة النشر- ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م- الجزء الثاني- ص٤١٤-٤١٥ library.islamweb.Net أخرجه البخاري (١٩٥/٧ - و١٩٨) - انظر البخاري (٣٦٤٥).

لا تقاوم، ويقوم برفع سقف التوقعات والآمال التي يسعى الأتباع إلى تحقيقها ويثبت التزامه بتحقيق الأهداف والوصول إلى الرؤية المشتركة. قال النبي ﷺ في أُحد: «من يأخذ هذا السيف مني بحقّه» يقول الراوي فهاب الناس، فما كان من أبي دجانة إلا أن أخذه ففلق به هام المشركين[1] وصحّ عن النبي ﷺ أنه كان يحث الصحابة ويشحذ هممهم للإنفاق والتضحية في سبيل الله. ومما يُذكر هنا أن النبي ﷺ بيّن للمسلمين قبيل معركة بدر مكان مقتل كل من قتلى المشركين وكان ذلك قبل المعركة؛ فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: فطابت نفوسنا.

ثالثاً: التحفيز الذهني:

يشعل القادة النوعيون جذوة الإبداع بين الأتباع من خلال التشكيك في الافتراضات المسبقة، وصياغة أطر ذهنية جديدة للمشاكل الراهنة وابتكار وسائل جديدة في التعامل مع القضايا التقليدية. فالجو العام يشجع على الإبداع كما أن ثقافة الانتقاد العلني للأخطاء والإخفاقات غير موجودة. ويتم فتح باب المشاركة للجميع في محاولة إيجاد الحلول، ويتم التعامل مع الأفكار الجديدة والإبداعية بعين التقدير والتشجيع. يرغّب الأتباع في تجربة وسائل جديدة كما أن أفكارهم لا تتعرض للانتقاد إذا اختلفوا في الرأي مع القائد. وقد ظهر هذا الجانب من المدرسة القيادية النبوية في غزوة الأحزاب، فشاور أصحابه كعادته ﷺ فأشار سلمان الفارسي رضي الله عنه بحفر الخندق ثم أجمع الصحابة على ذلك. تدلّ هذه القصة على أن النبيّ ﷺ كان يحث أصحابه على المبادرة والشجاعة في إظهار الرأي، وكان لذلك أثر كبير في أحداث كثيرة[2].

رابعاً: الاهتمام الفردي:

يراعي القائد النوعي بعناية احتياجات كل من أتباعه من حيث الطموح إلى الإنجاز والتقدم، وذلك عن طريق التدريب والتوجيه والتي من خلالها يتم الارتقاء بهم وبإمكاناتهم. يتم خلق فرص للتعلم وفي جو من التشجيع والمساندة كما يعكس سلوك القائد مراعاته

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٤٧٠).

(٢) صور من حياة الرسول ﷺ مرجع سابق ص٤١٩.

للفروق الفردية. وقنوات الاتصال مفتوحة بين القائد وأتباعه، وكثيراً ما يتواجد القائد في مواقع العمل للمتابعة والمساندة. تتميز علاقة القائد بكل من الأتباع بالتفرد والخصوصية ويتمتع القائد النوعي بالمقدرة العالية على حسن الاستماع ويقوم بتفويض الأتباع للقيام بالمهام بهدف مساعدتهم في التقدم والتعلم، كما يقوم القائد بمتابعة أدائهم بهدف المساندة إذا لزم الأمر دون إشعار الأتباع بالمراقبة الحثيثة.

وهذا العنصر له أمثلة لا تكاد تحصى في حياة النبي ﷺ. فقصّته في مساعدة جابر على سدّ دين والده، وشراؤه جمله منه، رواه البخاري (٢٥٧٣) وسيره ﷺ بسير الأبطأ والأضعف في الجيش (رواه الترمذي)، وملاعبته للصغار[١] كل بما يناسبه، وسؤاله عن أحوال خاصة تظهر صدق اهتمامه بمن حوله سجية وبلا تكلف[٢].

Buat Halaman · Pengembang · Karier · Privasi.

(١) انظر حديث يا أبا عمير ما فعل النغير (صحيح البخاري ٥٧٧٨ الأدب).

(٢) راشدون للتطوير القيادي ١٨ أيار ٢٠١٢ المصادر: صحيح مسلم- سيرة ابن إسحاق - القيادة النوعية (التحويلية باس وريجيو ٢٠٠٦). ارجع إلى بحث القيادة التحويلية ص ١٦٨- ١٦٩.

المبحث التاسع- أقوال بعض المفكرين و المستشرقين في النبي محمد ﷺ وأهمية دعوته

إن المنصفين من المشاهير عندما اطلعوا على سيرة رسول الله محمد ﷺ لم يملكوا إلا الاعتراف له بالفضل والنبل والسيادة وإني أضع بين يديك أخي القارئ جلة من أقوال بعض المستشرقين الذين أعجبوا بشخصية الرسول العظيم ﷺ، ومع كونهم لم يعتنقوا الإسلام و لم يرتدوا عباءته فإنهم قالوا كلمة حق سطرها التاريخ على ألسنتهم وفي كتبهم وتراثهم، وما أحب هؤلاء كذلك إلا لأن سيرته العطرة ﷺ قد فاضت بكم هائل من الرقي الشخصي والأخلاقي والحضاري إلى أبعد حد ممكن مما جعلهم يسطرون فيه الكتب ويذكرون شخصه في كل وقت. وهذا جزء من كل ما قالوا في عظيم شخصه وصفاته الجليلة.

١ - مايكل هارت:

إن محمداً كان الرجل الوحيد في التاريخ الذي نجح بشكل أسمى وأبرز في كلا المستويين الديني والدنيوي... إن هذا الاتحاد الفريد الذي لا نظير له للتأثير الديني والدنيوي معاً يخوله أن يعتبر أعظم شخصية أثرت في تاريخ البشرية.

الدكتور/ مايكل هارت دكتوراه في علم الفلك من جامعة برنستون صاحب كتاب (الخالدون مائة أعظمهم محمد) (المائة الأوائل)[١]. ويقول في الصفحة ١٣ إنه اختار النبي ﷺ على رأس المائة لأن محمداً عليه السلام هو الإنسان الوحيد في التاريخ الذي نجح نجاحاً مطلقاً على المستوى الديني والدنيوي، ويقول في الصفحة (١٨) ولما كان الرسول ﷺ قوة جبارة لا يستهان بها فيمكن أن يقال أيضاً إنه أعظم زعيم سياسي عرفه التاريخ[٢].

٢ - الفيلسوف الفرنسي إدوار مونته:

قال في آخر كتابه (العرب): عرف محمد بخلوص النية والملاطفة وإنصافه في الحكم، ونزاهة التعبير عن الفكر والتحقق، وبالجملة كان محمد أزكى وأدين وأرحم عرب

---

(١) انظر من أقوال الغرب عن سيدنا محمد ﷺ www.https://rdpres.tawheed.com.

(٢) أقوال الغرب والأوربيين عن النبي محمد ﷺ comhttps: //n. misr.

عصره، وأشدهم حفاظاً على الزمام فقد وجههم إلى حياة لم يحلموا بها من قبل، وأسس لهم دولة زمنية ودينية لا تزال إلى اليوم[1].

٣ - مونتجومري وات:

إن استعداد هذا الرجل لتحمل الاضطهاد من أجل معتقداته، والطبيعة الأخلاقية السامية لمن آمنوا به واتبعوه واعتبروه سيدا وقائدا لهم، إلى جانب عظمة إنجازاته المطلقة، كل ذلك يدل على العدالة والنزاهة المتأصلة في شخصه. فافتراض أن محمدا مدع افتراض يثير مشاكل أكثر ولا يحلها. بل إنه لا توجد شخصية من عظماء التاريخ الغربيين لم تنل التقدير اللائق بها مثل ما فعل بمحمد[2].

٤ - المفكر الفرنسي لامارتين:

إذا كانت الضوابط التي نقيس بها عبقرية الإنسان هي سمو الغاية والنتائج المذهلة لذلك رغم قلة الوسيلة، فمن ذا الذي يجرؤ أن يقارن أيا من عظماء التاريخ الحديث بالنبي محمد ﷺ في عبقريته؟ فهؤلاء المشاهير قد صنعوا الأسلحة وسنوا القوانين وأقاموا الإمبراطوريات. فلم يجنوا إلا أمجادا بالية لم تلبث أن تحطمت بين ظهرانَيْهم.

لكن هذا الرجل (محمداً ﷺ) لم يقد الجيوش ويسن التشريعات ويقم الإمبراطوريات ويحكم الشعوب ويروض الحكام فقط، وإنما قاد الملايين من الناس فيما كان يعد ثلث العالم حينئذ. ليس هذا فقط، بل إنه قضى على الأنصاب والأزلام والأديان والأفكار والمعتقدات الباطلة[3].

٥ - جان جاك روسو:

لم ير العالم حتى اليوم رجلاً استطاع أن يحول العقول، والقلوب من عبادة الأصنام إلى عبادة الإله الواحد إلا محمداً ولو لم يكن قد بدأ حياته صادقاً أميناً ما صدقه أقرب

---

(١) الفيلسوف إدوار مونته الفرنسي مستشرق فرنسي ولد في بلدته لوكادا ١٨١٧- ١٨٩٤ - انظر من أقوال الغرب عن سيدنا محمد ﷺ www.https://rdpres.tawheed.com.

(٢) مونتجومري وات، من كتاب "محمد في مكة"، ١٩٥٣، صفحة ٥٢.

(٣) المفكر الفرنسي لامارتين (لامارتين من كتاب تاريخ تركياً، باريس، ١٨٥٤، الجزء الثاني، صفحة ٢٧٦- ٢٧٧.

الناس إليه، خاصة بعد أن جاءته السماء بالرسالة لنشرها على بني قومه الصلاب العقول والأفئدة، لكن السماء التي اختارته بعناية كي يحمل الرسالة كانت تؤهله صغيراً فشب متأملاً محباً للطبيعة ميالا للعزلة لينفرد بنفسه[1].

٦ - سبربت و. أرنولد:

قبيل وفاة محمد نرى جميع أنحاء الجزيرة العربية تقريباً تدين له بالطاعة، وإذا ببلاد العرب التي لم تخضع إطلاقاً لأمير من قبل تظهر في وحدة سياسية وتخضع لإرادة حاكم مطلق.

ومن تلك القبائل المتنوعة، صغيرها وكبيرها، ذات العناصر المختلفة التي قد تبلغ المائة والتي لم تنقطع عن التنازع والتناحر، خلقت رسالة محمد أمة واحدة، وقد جمعت فكرة الدين المشترك تحت زعامة واحدة شتى القبائل في نظام سياسي واحد، ذلك النظام الذي سرت مزاياه في سرعة تبعث على الدهشة والإعجاب. وأن فكرة واحدة كبرى هي التي حققت هذه النتيجة، تلك هي مبدأ الحياة القومية في جزيرة العرب الوثنية، وهكذا كان النظام القبلي لأول مرة، وإن لم يقض عليه نهائياً (إذ كان ذلك مستحيلاً)، شيئاً ثانوياً بالنسبة للشعور بالوحدة الدينية. وتكللت المهمة الضخمة بالنجاح، فعندما انتقل محمد إلى جوار ربه كانت السكينة وترفرف على أكبر مساحة من شبه الجزيرة العربية، بصورة لم تكن القبائل العربية تعرفها من قبل، مع شدة تعلقها بالتدمير وأخذ الثأر. وكان الدين الإسلامي هو الذي مهد السبيل إلى هذا الائتلاف[2]...

٧ - جورج برنارد شو:

"لما قرأت دين محمد أحسست أنه دين عظيم، وأعتقد أن هذا الدين العظيم سيسود العالم ذات يوم قريب مقبل إذا ما وجد الفرصة لانتصاره، ليتعرف العالم عليه بلا تعصب[3]

---

(١) الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو - عالم نبات - ملحن - تربوي -انظر r.mwikipedia.org

(٢) المستشرق الإنجليزي سبربت و. أرنولد، في كتابه الدعوة إلى الإسلام، ص٣٧.

(٣) جورج برنارد شو - كاتب مسرحي بريطاني ولد في كانبا ١٨١٧-١٩٠٢ - له كتاب أسماه (محمد) أحرقته السلطات البريطانية- انظر جريدة الشعب - رأي وفكر - على الموقع:

www.Elshab.٠rg .

ويقول أيضاً العالم أحوج ما يكون إلى رجل في تفكير محمد هذا النبي الذي وضع دينه دائماً موضع الاحترام والإجلال، فإنه أقوى دين هضم جميع المدنيات خالداً خلود الأبد، لكنني اطلعت على أمر هذا الرجل فوجدته أعجوبة فارقة.. ويجب أن يسمى منقذ البشرية، وفي رأيي أنه لو تولى أمر العالم اليوم لوفق في حل مشكلاتنا بما يؤمن السلام والسعادة التي يرنو البشر إليها.

٨ - برتراند راسل:

"لقد قرأت عن الإسلام ونبي الإسلام فوجدت أنه دين جاء ليصبح دين العالم والإنسانية، فالتعاليم التي جاء بها محمد والتي حفل بها كتابه مازلنا نبحث ونتعلق بذرات منها وننال أعلى الجوائز من أجلها"[١].

٩ - جوستاف لوبون:

يقول المستشرق الفرنسي جوستاف لوبون (١٨٤١-١٩٢١): "وإذا ما قِيسَتْ قيمة الرجال بجليل أعمالهم كان محمد ﷺ من أعظم مَنْ عَرَفهم التاريخ، وأخذ بعض علماء الغرب يُنصفون محمداً ﷺ، مع أن التعصب الديني أعمى بصائر مؤرخين كثيرين عن الاعتراف بفضله"[٢].

١٠ - المستشرق الإيطالي ميخائيل إيمارى في كتابه (تاريخ المسلمين):

يقول وحسب محمد ثناءً عليه أنه لم يساوم ولم يقبل المساومة لحظة واحدة في موضوع رسالته على كثرة فنون المساومات واشتداد المحن وهو القائل "لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته". عقيدة راسخة، وثبات لا يقاس بنظير، وهمة تركت العرب مدينين لمحمد بن عبد الله، إذ تركهم أمة لها شأنها تحت الشمس في تاريخ البشر.

---

(١) برتراند راسل وهو أحد فلاسفة بريطانيا الكبار والحاصل على جائزة نوبل للسلام عام ١٩٥٠.

(٢) من كتاب حضارة العرب ص ١١٩.

١١ - سانت هيلر[١]

يقول في كتابه الشرقيون وعقائدهم: كان محمد رئيساً للدولة وساهراً على حياة الشعب وحريته، وكان يعاقب الأشخاص الذين يجترحون الجنايات حسب أحوال زمانه وأحوال تلك الجماعات الوحشية التي كان يعيش النبي بين ظهرانيها، فكان النبي داعياً إلى ديانة الإله الواحد وكان في دعوته هذه لطيفاً ورحيماً حتى مع أعدائه، وإن في شخصيته صفتين هما من أجلّ الصفات التي تحملها النفس البشرية وهما العدالة والرحمة.

١٢ - دون بايرون:

يتحدث الباحث الأرجنتيني دون بايرون (١٨٣٩-١٩٠٠) في مؤلفه: «أتح لنسفك فرصة» فيقول: "اتفق المؤرخون على أن محمد بن عبد الله كان ممتازاً بين قومه بأخلاق حميدة، من صدق الحديث والأمانة والكرم وحسن الشمائل والتواضع حتى سماه أهل بلده الأمين، وكان من شدة ثقتهم به وبأمانته يودعون عنده ودائعهم وأماناتهم، وكان لا يشرب الأشربة المسكرة، ولا يحضر للأوثان عيداً ولا احتفالاً، وكان يعيش مما يدره عليه عمله من خير"[٢].

١٣ - ألبرت آينشتاين Albert Einstein:

(العالم الفيزيائي الشهير صاحب نظرية النسبية): أعتقد أن محمداً استطاع بعقلية واعية مدركة لما يقوم به اليهود أن يحقق هدفه في إبعادهم عن النَّيْل المباشر من الإسلام الذي مازال حتى الآن هو القوة التي خلقت ليحل بها السلام.

١٤ - ليو تولستوي Leo Tolstoy :

ليو تولستوي «١٨٢٨-١٩١٠» الأديب العالمي الذي يعد أدبه من أمتع ما كتب في التراث الإنساني قاطبة عن النفس البشرية:

---

(١) (العلامة برتلي سانت هيلر الألماني هو مستشرق ألماني ولد في درسدن ١٧٩٣- ١٨٨٤ قال في كتابه (الشرقيون وعقائدهم).

أقوال الغرب عن سيدنا محمد ﷺ www.https://awheed.rdpres.com.

(٢) حديث الباحث الأرجنتيني دون بايرون (١٨٣٩- ١٩٠٠) في مؤلفه: «أتح لنسفك فرصة».

يكفي محمداً فخراً أنّه خلّص أمةً ذليلةً دمويةً من مخالب شياطين العادات الذميمة، وفتح على وجوههم طريقَ الرُّقي والتقدم، وأنّ شريعةَ محمد، ستسودُ العالم لانسجاً أنا واحد من المبهورين بالنبي محمد الذي اختاره الله الواحد لتكون آخر الرسالات على يديه، وليكون هو أيض مها مع العقل والحكمة.

آخر الأنبياء:

وكان هذا رأي هؤلاء العلماء المستشرقين الذين أخلصوا النية ولم تخالطهم أي أهواء أو أطماع تحول بينهم وبين ذكر الحقيقة التي تنص على أن دين إسلام ورسول الإسلام حمل رسالة تشهد لها البشرية بالعظمة والإجلال، فكن فخوراً بانتمائك إلى هذا الدين وهذه الأمة ذات العظمة الخالدة مهما حاول ضعاف النفوس النيل منها.

١٥ - مهاتما غاندي:

(مهاتما غاندي في حديثه عن شخصية محمد ﷺ: في مستعرض كتابه (الهند الشابة): ولجريدة "ينج إنديا" يقول: "أردت أن أعرف صفات الرجل الذي يملك بدون نزاع قلوب ملايين البشر.. لقد أصبحت مقتنعاً كل الاقتناع أن السيف لم يكن الوسيلة التي من خلالها اكتسب الإسلام مكانته، بل كان ذلك من خلال بساطة الرسول مع دقته وصدقه في الوعود، وتفانيه وإخلاصه لأصدقائه وأتباعه، وشجاعته مع ثقته المطلقة في ربه وفي رسالته. هذه الصفات هي التي مهدت الطريق، وتخطت المصاعب وليس السيف. بعد انتهائي من قراءة الجزء الثاني من حياة الرسول وجدت نفسي أسفا لعدم وجود المزيد للتعرف أكثر على حياته العظيمة"[١].

١٦ - راما كريشنا راو:

(البروفسور رما كريشنا راو في كتابه "محمد النبي" لا يمكن معرفة شخصية محمد بكل جوانبها. ولكن كل ما في استطاعتي أن أقدمه هو نبذة عن حياته من صور متتابعة جميلة. فهناك محمد النبي، ومحمد المحارب، ومحمد رجل الأعمال، ومحمد رجل السياسة، ومحمد الخطيب،

(١) أقوال الغرب عن سيدنا محمد ﷺ www.https://awheed.rdpres.com.

ومحمد المصلح، ومحمد ملاذ اليتامى، وحامي العبيد، ومحمد محرر النساء، ومحمد القاضي، كل هذه الأدوار الرائعة في كل دروب الحياة الإنسانية تؤهله لأن يكون بطلاً.

١٧ - ساروجنى ندو شاعرة الهند:

"يعتبر الإسلام أول الأديان منادياً ومطبقاً للديمقراطية، وتبدأ هذه الديمقراطية في المسجد خمس مرات في اليوم الواحد عندما ينادى للصلاة، ويسجد القروي والملك جنباً لجنب اعترافاً بأن الله أكبر.. ما أدهشني هو هذه الوحدة غير القابلة للتقسيم والتي جعلت من كل رجل بشكل تلقائي أخاً للآخر.

١٨ - بوسورث سميث[١]

"لقد كان محمد قائدا سياسيا وزعيما دينيا في آن واحد. لكن لم تكن لديه عجرفة رجال الدين، كما لم تكن لديه فيالق مثل القياصرة. ولم يكن لديه جيوش مجيشة أو حرس خاص أو قصر مشيد أو عائد ثابت. إذا كان لأحد أن يقول إنه حكم بالقدرة الإلهية فإنه محمد، لأنه استطاع الإمساك بزمام السلطة دون أن يملك أدواتها ودون أن يسانده أهلها.

١٩ - الدكتور زويمر[٢]

"يقول في كتابه الشرق وعاداته: إن محمداً كان ولا شك من أعظم القواد المسلمين الدينيين، ويصدق عليه القول أيضاً بأنه كان مصلحاً قديراً وبليغاً فصيحاً وجريئاً مغواراً، ومفكراً عظيماً، ولا يجوز أن ننسب إليه ما ينافي هذه الصفات، وهذا قرآنه الذي جاء به وتاريخه يشهدان بصحة هذا الادعاء".

٢٠ - لسير وليام موير:

يقول في كتابه "تاريخ محمد"[٣] "إن محمداً نبي المسلمين لقب بالأمين منذ الصغر بإجماع أهل بلده لشرف أخلاقه وحسن سلوكه، ومهما يكن هناك من أمر فإن محمداً

---

(١) بوسورث سميث، من كتاب "محمد والمحمدية"، لندن ١٨٧٤، صفحة ٩٢.

(٢) الدكتور زويمر الكندي مستشرق كندي ولد ١٨١٣-١٩٠٠ قال في كتابه (الشرق وعاداته):

(٣) السير وليام موير الإنكليزي في كتابه (تاريخ محمد).

أسمى من أن ينتهي إليه الواصف، ولا يعرفه من جهله، وخبير به من أمعن النظر في تاريخه المجيد، ذلك التاريخ الذي ترك محمداً في طليعة الرسل ومفكري العالم".

٢١ - الدكتور شبرك النمساوي:

"إنّ البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد إليها، إذ إنّه رغم أُمّيته، استطاع قبل بضعة عشر قرناً أنْ يأتي بتشريع، سنكونُ نحنُ الأوروبيين أسعد ما نكون، إذا توصلنا إلى قمّته".

٢٢ - عالم اللاهوت السويسري د. هانز كونج:

"محمد نبي حقيقي بمعنى الكلمة، ولا يمكننا بعد إنكار أن محمدا هو المرشد القائد إلى طريق النجاة"[١].

٢٣ - (جوتة) الملقب بأمير الشعراء الألماني (١٧٤٩ -١٨٣٢):

وله مؤلف مشهور بعنوان (الديوان الشرقي للشاعر الغربي): "وقد نظم وهو في سن الثالثة والعشرون من عمره قصيدة رائعة أشاد فيها بالنبي ﷺ وحينما بلغ السبعين من عمره أعلن على الملأ انه يعتزم أن يحتفل في خشوع بتلك الليلة المقدسة التي أنزل فيها القرآن الكريم علي النبي ﷺ وفي إعلانه عن صدور كتابه: (الديوان الشرقي للشاعر الغربي) قال إنه: "لا يكره أن يقال عنه أنه مسلم كما يقول عن القرآن الكريم أن أسلوبه محكم وسالم مثير للدهشة وفي مواضع عديدة يبلغ قمة السمو حقاً[٢].

يقول: كلما قرأت القرآن شعرت أن روحي تهتز داخل جسمي.

ويقول: بحثت في التاريخ عن مثل أعلى لهذا الإنسان، فوجدته في النبي العربي محمد ﷺ.

---

(١) نقلاً عن كتاب الإسلام نهر يبحث عن مجرى للدكتور شوقي خليل.

(٢) أقوال الغرب عن سيدنا محمد ﷺ www.https://awheed.rdpres.com. نقلاً عن آفاق جديدة للدعوة للعلامة أنور الجندي- ونقلاً عن كتاب الشمس تسطع على الغرب للكاتبة سيغرد هونكة- يقول جوتة: إننا أهل الغرب بجميع مفاهيمنا لم نصل بعد إلى ما وصل إليه محمد وسوف لا يتقدم عليه أحد.

وفي ديوانه الرائع (الديوان الشرقي للشاعر الغربي): يخاطب الشاعر غوته أستاذه الروحي الشاعر الكبير حافظ شيرازي فيقول: (يا حافظ إن أغانيك لتبعث السكون... إنني مهاجر إليك بأجناس البشرية المحطمة، بهم جميعا أرجوك أن تأخذنا في طريق الهجرة إلى المهاجر الأعظم محمد بن عبد الله).

ويقول: إن التشريع في الغرب ناقص بالنسبة للتعاليم الإسلامية، وإننا أهل أوربا بجميع مفاهيمنا لم نصل بعد إلى ما وصل إليه محمد، وسوف لا يتقدم عليه أحد.

ويقول: القرآن كتاب الكتب، وإني أعتقد هذا كما يعتقده كل مسلم.

٢٤ - كارل ماركس:

جدير بكل ذي عقل أن يعترف بنبوته وأنه رسول من السماء إلى الأرض.

هذا النبي افتتح برسالته عصراً للعلم والنور والمعرفة، حري أن تدون أقواله وأفعاله بطريقة علمية خاصة، وبما أن هذه التعاليم التي قام بها هي وحي فقد كان عليه أن يمحو ما كان متراكما من الرسالات السابقة من التبديل والتحوير[١].

٢٥ - فارس الخوري:

إن محمداً أعظم عظماء العالم، ولم يجيء الدهر بمثله، والدين الذي جاء به أكمل الأديان وأتمها[٢].

٢٦ - المستشرق الأمريكي (سنكس):

يقول المستشرق الأمريكي (سنكس) في كتابه "ديانة العرب": ظهر محمد بعد المسيح بخمسمائة وسبعين سنة، وكانت وظيفته ترقية عقول البشر، بإشرابها الأصول الأولية للأخلاق الفاضلة، وبإرجاعها إلى الاعتقاد بإله واحد، وبحياة بعد هذه الحياة.

---

(١) أقوال الغرب عن سيدنا محمد ﷺ www.https://awheed.rdpres.com. انظر جريدة الشعب رأي وفكر www.Elshab.٠rg.

(٢) رئيس وزراء سورية ووزير أوقافها- وهو مسيحي انظر:

https ://tawheed٢.Wordpress.c٠m - المصريون http://elmesryoon.com.

٢٧ - الفيلسوف الإنجليزي (توماس كارليل):

يقول الفيلسوف الإنجليزي (توماس كارليل) في كتابه الأبطال:

"لقد أصبح من أكبر العار على أي فرد متحدث هذا العصر أن يصغي إلى ما يقال من أن دين الإسلام كذب، وأن محمداً خدّاع مزوِّر.

وإن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة؛ فإن الرسالة التي أدَّاها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير مدة اثني عشر قرناً لنحو مائتي مليون من الناس، أفكان أحدكم يظن أن هذه الرسالة التي عاش بها ومات عليها هذه الملايين الفائقة الحصر والإحصاء أكذوبة وخدعة[١].

٢٨ -واشنطن ايرفرنج:[٢]

يقول في كتابه "حياة محمد" ص٣٠٢-٣٠٣ وحتى في أوج مجده حافظ الرسول ﷺ على بساطته وتواضعه، فكان يكره إذا دخل حجرة على جماعته أن يقوموا له أو يبالغوا في الترحيب به، لاشك أن القرآن من الله، ولا شك في ثبوت رسالة محمد ﷺ.

٢٩ - موريس بوكاي:

وهو جراح فرنسي شهير يقول: قرأت القرآن بإمعان ووجدته هو الكتاب الوحيد الذي يضطر المثقف بالعلوم العصرية أن يؤمن بأنه من الله لا يزيد حرفاً ولا ينقص[٣].

تلك بعض أقوال مشاهير العالم في محمد نبي الرحمة ﷺ فلماذا المزايدات التي تضر ولا تنفع، وتهدم ولا تبني من قبل أعداء الإسلام..؟؟!

وهم يؤمنون بأن الإسلام دين الحق وأن الرسول ﷺ أفضل البشر.

---

(١) http://almorsaleen.yoo٧./t٦-topi.com أقوال الغرب عن سيدنا محمد ﷺ:
www.https://awheed.rdpres.com.

(٢) مستشرق أريكي - أستاذ في جامعة أوسلو- مؤلف كتاب (حياة محمد).

(٣) من أقوال الغرب عن سيدنا محمد ﷺ www.https://awheed.rdpres.com.